

الفوائد الذهبية
في شرح
الأربعين النووية

تأليف

أ.د. سليمان سراج عبد القوي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة طيبة بالمدينة

دار البشير



الفوائد الذهبية

في شرح

الأربعين النووية

الطبعة الأولى

1446 هـ

2025 م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أ. د. سليم سالم عابد اللقمانى
الفوائد الذهبية في شرح الأربعين النووية. / أ. د. سليم سالم عابد اللقمانى - القاهرة، ١٤٤٧ هـ
٢٠٥ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٩ - ٩٩٤٧ - ٠٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- الآداب ٢- الأدب العربي أ. العنوان
ردمك: ٩ - ٩٩٤٧ - ٠٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

اسم الكتاب: الفوائد الذهبية في شرح الأربعين النووية
التأليف: أ. د. سليم سالم عابد اللقمانى
موضوع الكتاب: دراسات إسلامية
عدد الصفحات: 207 صفحة
عدد الملازم: 13 ملزمة
مقاس الكتاب: 17x24
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 1447 / 2685
التقييم الدولي: 978 - 603 - 05 - 9947 - 9



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.



إدارة التسويق والثقافة والعلوم



elbasheer.marketing@gmail.com

elbasheernashr@gmail.com



01012355714 - 01152806533

الْفَوَائِدُ الزَّهَبِيَّةُ

فِي شَرْحِ

الْأَرْبَعِينَ نَوِيَّةً

تأليف

أ.د. سنان بن عبد القادر

عبد البشير

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وبعد لم يهتم المسلمون بشيء بعد القرآن الكريم كاهتمامهم بسيرة نبيهم ﷺ وحرصهم على معرفة تفاصيل حياته الخاصة والعامة، وكذا الاهتمام بأحاديثه ومن ذلك الأربعين النووية التي جمعها الامام النووي رحمه الله وقد كثرت شروحاتها ويعتبر من الكتب المهمة التي كتبها الله لها القبول والانتشار، لأنه ضمنها الأحاديث التي هي من أصول الإسلام وقواعده. ولأهمية هذه الأحاديث التي جمعها النووي رحمه الله، فقد قمت بشرحها مستعيناً - بعد عون الله - بكلام العلماء. سائلاً المولى ﷻ أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وكان الانتهاء منه ومراجعته في يوم الاحد ٨ / ١٠ / ١٤٤٦ هـ

كتبه

أ.د. سنان بن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

الحديث الأول

إنما الأعمال بالنيات

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي» ابن غالب القرشي العدوي^(٢).

«يجمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي بن غالب ويكنى أبا حفص.

قال ابن عبد البر: «كان شديد الأذمة»^(٣)، طوالاً، كث اللحية، أصلع^(٤) أعسر^(٥).

وكان رجلاً ضخماً عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «رأيت عمر يمسك أذن فرسه بإحدى يديه ويمسك أذنه بيده الأخرى، ثم يثب حتى يقعد عليه»^(٦).

مناقبه:

قال الذهبي: «كان من أشرف قريش، وإليه السفارة كانت في الجاهلية، وذلك أن قريشاً كانت إذا وقع بينهم حرب، أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيراً»^(٧).

(١) رواه البخاري، المقدمة، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم? برقم ١ ورواه مسلم، كتاب الإمامة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه العزو وغيره من الأعمال، برقم ١٩٠٧.

(٢) التهذيب، الذهبي: ج ٣ ق ١٧٧/أ، وانظر نسبه في: طبقات خليفة ص ٢٢، وطبقات ابن سعد ٣/٢٦٥.

(٣) «الأذمة في الناس: السمرة الشديدة». (لسان العرب، لابن منظور ١٢/١١).

(٤) انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر في تلك البقعة وقصورها عنها (القاموس المحيط لابن فارس ص ٩٥٣).

(٥) الأعسر: الذي يعمل بالشمال. (القاموس المحيط لابن فارس ص ٥٦٤).

(٦) الطبقات، ابن سعد: ٣/٢٩٣، المعجم الكبير، الطبراني: ١/٦٦.

(٧) التهذيب، الذهبي: ج ٣ ق ١٧٧/أ.

وقيل وإن نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافراً، ومفاخراً ورضوا به^(١).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ^(٢).

مسائل وفوائد:

١. إن قيل: لم قال: «إنما الأعمال بالنيات» ولم يقل: إننا الأفعال؟ قلنا: قال بعض العلماء: إننا قال: إننا الأعمال لأنه لو قال: إننا الأفعال بالنيات لتناول أفعال القلوب، ومنها النية، ومعرفة الله تعالى، فكان يلزم أن لا يصححاً إلا بالنية، لكن النية فيها محال^(٣).

٢. كان العلماء يستحبون تقديمه في التصانيف لعموم الحاجة إليه؛ إذ النية أصل العمل، وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول: ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبتدئ بهذا الحديث. ولهذا افتتح البخاري كتابه به. وقال الشافعي: يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه. وقال أحمد بن حنبل: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: «الأعمال بالنية»، و«حلال بين، وحرام بين»، و«من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد». وقال أبو داود السجستاني: الفقه يدور على خمسة أحاديث: «الأعمال بالنيات» و«حلال بين» و«ما نهيتكم عنكم فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» و: «لا ضرر ولا ضرار» و«الدين النصيحة»^(٤).

٣. النيات جمع نية، والمشهور في الرواية تشديد الياء في الجمع وحكى فيه النووي التخفيف، وقد ورد الحديث بلفظ الأفراد أيضاً في النية وفي العمل أيضاً وكله في الصحيح واختلف في حقيقة النية فقيل هي الطلب وقيل الجد في الطلب ومنه قول ابن مسعود: من ينو الدنيا تعجزه أي من يجد في طلبها وقيل القصد للشيء بالقلب وقيل عزيمة القلب، وقيل هي من النوى بمعنى البعد فكان النأوي للشيء يطلب بقصده وعزمه ما لم يصل إليه بجوارحه وحركاته الظاهرة لبُعده عنه فجعلت النية وسيلة إلى بلوغه والله أعلم^(٥).

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣/ ١١٤٥.

(٢) رواه الترمذي، أب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، ٣٦٨١ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه اللباني في المشكاة.

(٣) التعيين في شرح الأربيعين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري ٤٣/١.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي ١/ ٨٥.

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين العراقي ٧/٢.

فِي شَرْحِ الْأَلْبَعِيْرِ النَّوَوِيَّةِ

٤. ذكر المرأة مع الدنيا يحتمل وجهين: أحدهما أن سبب هذا الحديث ما روى أن رجلاً هاجر ليتزوج امرأة يقال لها: أم قيس، والثاني أنه للتنبيه على زيادة التحذير من ذلك، وهو من باب الخاص بعد العام، تنبيهاً على مزيتها^(١).

٥. قوله: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى».

قال بعض العلماء في قوله: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» يرجع إلى معنيين: أحدهما: تجريد العمل من الشرك بالله بخالص التوحيد، والآخر: تجريده بخالص السنة^(٢).

يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ النِّيَّاتِ هِيَ المَصْحُوحَةُ لِلْأَعْمَالِ وَأَنَّهَا مَعَ إِنْفِرَادِهَا عَنْهَا لَا تَقَعُ مَوَاقِعُ القَبُولِ والأجزاء^(٣).

يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ عَمَلٍ بِغَيْرِ نِيَّةٍ لَا يُجْزَى.

المراد بالأعمال: الأعمال الشرعية. ومعناه: لا يعتد بالأعمال بدون النية مثل الوضوء والغسل والتميم وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج والاعتكاف وسائر العبادات، فأما إزالة النجاسة فلا تحتاج إلى نية لأنها من باب الترك والترك لا يحتاج إلى نية^(٤).

• النِّيَّةُ فِي اللُّغَةِ نَوْعٌ مِنَ القَصْدِ وَالْإِرَادَةِ:

في قوله ﷺ «وَأِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى» إخباراً عن حكم الشَّرع، وهو أَنَّ حَظَّ العَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ نِيَّتُهُ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً فَعَمَلُهُ صَالِحٌ، فَله أَجْرُهُ، وَإِنْ كَانَتْ فَاسِدَةً فَعَمَلُهُ فَاسِدٌ، فَعليه وَزْرُهُ^(٥).

• النِّيَّةُ فِي كَلَامِ العُلَمَاءِ تَقَعُ بِمَعْنِيَيْنِ:

الأول: بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلاً، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرُّد والتنظيف، ونحو ذلك، وهذه النية هي التي تُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ الفُقَهَاءِ فِي كِتَابِهِمْ.

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢ / ٤١٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض ٦ / ٣٣٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، لابن دقيق العيد ص ٢٦.

(٥) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب ١ / ٦١.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ

الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره، وهذه النية هي التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه، وهي التي تُوجد كثيراً في كلام السلف المتقدمين^(١).

٦. ضرب النبي ﷺ مثلاً للعمل الذي يراد به وجه الله والذي يراد به غير الله، وذلك بالهجرة: بعض الناس يهاجر ويدع بلده لله تعالى وابتغاء مرضاته فهذا هجرته لله ويؤجر عليها كاملاً. ويكون أدرك ما نوى وبعض الناس يهاجر لأغراض دنيوية، كمن هاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام من أجل المال، أو من أجل امرأة يتزوجها، فهذا هاجر لكنه لم يهاجر لله، ولهذا قال الرسول: فهجرته إلى ما هاجر إليه

الهجرة: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

وحكمها ينقسم إلى قسمين:

واجبة: إذا كان الشخص لا يستطيع أن يقيم دينه.

مستحبة: إذا كان الشخص يستطيع أن يقيم دينه.

وهي باقية إلى قيام الساعة:

عن معاوية، رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢).

وقعت الهجرة في الإسلام على أنواع:

الأولى: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام كما في الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثانية: الانتقال من بلد الخوف إلى بلد الأمن، كما في الهجرة إلى الحبشة.

الثالثة: ترك ما نهى الله عنه. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(٣).

(١) المرجع السابق ١/ ٦٣.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت؟، برقم ٢٤٧٩، وصححه الالباني في المشكاة ٢٣٤٦، الإرواء ١٢٠٨.

(٣) مسند الامام أحمد، برقم ٦٩١٢، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

التحذير من الدنيا وفتنتها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»^(١).

قال ابن الحنفية: من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا.

قيل لعلي: صف لنا الدنيا؟ فقال: ما أصف من دار؟ أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب،

وحرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن.

التحذير من فتنة النساء لقوله (أو امرأة..) وخصها بالذكر لشدة الافتتان

بها:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى الْيَتَامَى، برقم ١٤٦٥ ورواه مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ تَخَوُّفِ مَا يُخْرَجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، برقم ١٠٥٢.

(٢) ورواه مسلم، كتاب الرقاق، بَابُ بَابِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانَ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ برقم ٢٧٤٢.

الحديث الثاني

بيان الإسلام والإيمان والإحسان

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضَ الثِّيَابِ شَدِيدٌ سَوَادَ الشَّعْرِ لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ.

فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ^(١).

ترجمة الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث الأول.

مسائل وفوائد:

■ هذا الحديث حديث عظيم، سماه بعض أهل العلم أم السنة، يعني كما في القرآن أم القرآن، فهذا الحديث أم السنة؛ لأن جميع السنة تعود إلى هذا الحديث؛ فإن الحديث فيه بيان العقيدة، والعقيدة مبنية على أركان الإيمان الستة، وفيه بيان الشريعة، وذلك بذكر أركان الإسلام الخمسة، وفيه ذكر الغيبات والأمارات؛ بل قبل ذلك فيه ذكر آداب السلوك، والعبادة، وصالح توجه القلب، والوجه إلى الله جل وعلا بذكر الإحسان، وفيه ذكر الساعة وأماراتها، وهذا نوع من ذكر الأمور الغيبية ودلالات ذلك. فهذا الحديث يعود إليه جل السنة.

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان والإيمان باب: الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث (٨).

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّبَوِيَّةِ

قال القاضي عياض: «هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى جَمِيعِ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، مِنْ عُقُودِ الْإِيْمَانِ، وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَإِخْلَاصِ السَّرَائِرِ، وَالتَّحْفُظِ مِنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ، حَتَّى إِنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ وَمُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ»^(١).

❏ استحباب السؤال في العلم. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] وقد قيل السؤال نصف العلم

❏ قوله «شَدِيدُ بِيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ» فيه دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك فإن جبريل أتى معلماً للناس بحاله ومقاله وفيه ندب تنظيف الثياب، وتحسين الهيئة بإزالة ما يؤخذ للفطرة، وتطبيب الرائحة عند الدخول للمسجد، وعلى نحو العلماء، وندب ذلك للعلماء والمتعلمين؛ لأنه معلّم؛ بدليل «يعلمكم دينكم»

❏ (وقال: يا محمد) قد يستشكل بحرمة ندائه ﷺ به؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] مع أن المقام مقام تعليم، ويجب أن لا نسلم حرمة ذلك على الملائكة، فكان في ندائه بذلك - مع ما سيعلم به الصحابة ☐ من أنه جبريل - إعلام لهم بأن الملائكة لا يدخلون في هذا الخطاب، على أنه يحتمل أن حرمة ذلك إنما عرضت بعد، فلا إشكال أصلاً.

وقال بعضهم بأنه قصد مزيد التعمية عليهم، فناده بها كان يناديه به أجلاف الأعراب.

❏ وفي رواية ابن حبان^(٢) إِذْ جَاءَ رَجُلٌ [لَيْسَ] عَلَيْهِ سَحْنَاءٌ سَفَرٍ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يَتَخَطَّى... إِلَى آخِرِهِ (وَالسَّحْنَاءُ: الْهَيْئَةُ).

❏ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ عِنْدَهُ لِيْفِدِ الْغَايَةَ، أَي أَنْ جَلُوسَهُ كَانَ مَلَاصِقًا لِلنَّبِيِّ ﷺ قوله: «وَوَضَعَ كَفِيهِ عَلَى فَخْذِهِ» الضمير في كفيه للرجل، وفي فخذه يحتمل أنه للرجل أيضاً، وأنه وضع كفيه على فخذه نفسه معتمداً عليها وقت السؤال، ويحتمل أنه للنبي ﷺ وأن الرجل وضع كفيه على فخذه النبي ﷺ.

(١) «إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم» (١/ ١٠١ - ١٠٢).

(٢) صحيح ابن حبان، رقم ١٧٣، (١/ ٣٩٧)، ورواه ابن منده في «الإيمان» (١/ ١٥٧ رقم ١٤).

❖ (الإسلام) لغة: الطاعة والانقياد.

إصطلاحاً: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

• أول أركان الإسلام «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله».

ومعنى أن تشهد أن لا إله إلا الله، أي: أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا الله ﷻ. وأشهدُ بمعنى: أقر بقلبي ناطقاً بلساني؛ لأن الشهادة نطق وإخبار عما في القلب.

ف (لا إله) تنفي جميع ما يعبد من دون الله و (إلا الله) تثبت جميع أنواع العبادة لله وحده. فمعناها: لا معبود حق إلا الله.

فكما أن الله تعالى ليس له شريك في ملكه؛ فكذلك لا شريك له في عبادته سبحانه.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ: هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان بأن محمداً عبده ورسوله إلى الخلق كافة إنسهم وجنهم، فيجب تصديقه فيما أخبر به من أنباء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال، وحرّم من حرام، والامتثال والانقياد لما أمر به، والانتهاز والكف عما نهى عنه، واتباع شريعته، والتزام سنته في السر والجاهر، مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والعلم بأن طاعته هي طاعة الله ومعصيته هي معصية الله، لأنه مبلغ عن الله رسالته، ولم يتوفه الله حتى أكمل به الدين، وبلغ البلاغ المبين، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته.

ولا يدخل العبد في الدين إلا بهاتين الشهادتين، وهما متلازمتان،

• هل تكفي الشهادة باللسان؟

الشهادة باللسان لا تكفي بدليل أن المنافقين يشهدون لله عزّ وجل بالوحدانية ولكنهم يشهدون بألسنتهم، فيقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلا ينفعهم

• وللشهادتين عدة شروط، وهي:

الأول: العلم.

وهو العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، قال الله تعالى ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَدِّعِكُمْ ۗ ﴾ [محمد: ١٩].

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

الثاني: اليقين.

(١) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شك فيه دخل الجنة وحرم على النار، برقم ٢٦.

في شرح الإيعاب النبوية

وهو اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين - والعياذ بالله -.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي مَسِيرٍ، قَالَ: فَفَدَتُ أَرْوَادَ الْقَوْمِ، قَالَ: حَتَّى هَمَّ بَنَحْرَ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَرْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللَّهُ عَلَيْهَا، قَالَ: ففَعَلَ، قَالَ: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ، قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهِ، قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمْضُونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا قَالَ حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَرْوَدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

الثالث: القبول

وهو القبول بما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَفَنَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(٢).

الرابع: الانقياد

وهو الانقياد لما دلت عليه، المنافي لتلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢] أي بلا إله إلا الله ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ومعنى يسلم وجهه أي ينفق، وهو محسن: موحد.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الشركة، بَابُ الشَّرْكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوضِ «برقم ٢٤٨٤» ورواه مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، برقم ٢٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلِمَ، برقم ٧٩.

وهو الصدق فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْعَمَّ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿العنكبوت: ١ - ٣﴾.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ۞ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعَاذَ رَدِيفَهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قَالَ: لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صَدَقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أَخْبَرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَّكَلَمُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِيًا^(١).

السادس: الإخلاص

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تبارك وتعالى ﴿الْأَلِيَّةَ الَّذِينَ الْخَالِصُ ۝ الزمر: ٣﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَامَةِ ۝﴾ [البينة: ٥]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ۞ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يُسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(٢).

السابع: المحبة

وهي المحبة لهذه الكلمة وما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها، الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝﴾ [البقرة: ١٦٥]، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاته من وإلى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها. عَنْ أَنَسِ ۞ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةٌ أَنْ لَا يَفْهَمُوا «برقم ١٢٨ ورواه مسلم، كتاب الايمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، برقم ٣٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضل، بَابُ الْحِرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ، برقم ٩٩.

فِي شَرْحِ الْإِسْمَاءِ النَّبَوِيَّةِ

وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ^(١).

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً وهو الكفر بما يعبد من دون الله (الكفر بالطاغوت)، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٢) فلا بد لعصمة الدم والمال مع قوله (لا إله إلا الله) من الكفر بما يعبد من دون الله كائناً من كان.

شهادة أن محمداً رسول الله تستلزم أموراً منها:

الأول: تصديقه ﷺ فيما أخبر، بحيث لا يكون عند الإنسان تردد فيما أخبر به ﷺ، بل يكون في قلبه أشد مما نطق، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

الثاني: امتثال أمره ﷺ ولا تردد فيه لقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الثالث: أن لا يقدم قول أحد من البشر على قول النبي ﷺ.

الرابع: أن لا يتدع في دين الله ما لم يأت به الرسول ﷺ، سواء عقيدة، أو قولاً، أو فعلاً، وعلى هذا فجميع المتدعين لم يحققوا شهادة أن محمداً رسول الله، لأنهم زادوا في شرعه ما ليس منه، ولم يتأدبوا مع الرسول ﷺ.

الخامس: أن لا يتدع في حقه ما ليس منه، وعلى هذا فالذين يتدعون الاحتفال بالمولد ناقصون في تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، لأن تحقيقها يستلزم أن لا تزيد في شريعته ما ليس منه.

السادس: أن تعتقد بأن النبي ﷺ ليس له شيء من الربوبية، أي أنه لا يدعى، ولا يستغاث به إلا في حياته فيما يقدر عليه، فهو عبد الله ورسوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

السابع: احترام أقواله، بمعنى أن يحترم أقوال النبي ﷺ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الايمان، باب حلاوة الايمان، برقم ١٦ ورواه مسلم، كتاب الايمان، باب بيان خصال من انصف بين وجد حلاوة الايمان، برقم ٤٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، برقم ٢٣.

الْقَوْلُ بِاللَّهْمَةِ وَتَقِيْمِ الصَّلَاةِ:

إن المفهوم الحقيقي لإقامة الصلاة: هو أداء الصلاة بأفعالها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها، والتذلل بين يدي الملك الحق تعالي والتفكر فيما يقرأ من القرآن والأذكار، في مختلف أركان الصلاة، ثم أداء الصلاة مع الجماعة في بيوت الله، وإلقاء الدنيا وراء الظهر، والإقبال على الله ثم المحافظة على الصلوات الخمس حين ينادى بهن.. هذا -تقريباً- هو المفهوم الحق لإقامة الصلاة.

وهي واضحة من خلال كلمة (أقيموا) فإن الإقامة تشمل كل ما سبق ومن بلاغة القرآن الكريم جمعه المعاني الجليلة بلفظ موجز، قال الله: (وأقيموا الصلاة) ولم يقل: (صلوا).

ولم ترد آية في القرآن بلفظ: (صلوا) بالأمر المجرد عن الإقامة..

وبهذا يتبين لنا أولاً: عظمة القرآن وبلاغته وقوة مصدره: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا.

وثانياً: أهمية العناية بالصلاة جملة وتفصيلاً، لما اشتملت عليه كلمة (أقيموا) من المعاني العظيمة.

ومما سبق يتضح أن المقصود بإقامة الصلاة الآتي:

١. المحافظة على شروطها: من طهارة، واستقبال للقبلة، ورفع للأحداث والأنجاس..

والطهارة: طهارة المكان والثوب،

٢. ومن إقامتها المحافظة على ركوعها وسجودها: بمعنى: أن لا ينقرها نقرأ كنقر الغراب

الدم، وأن يسوي ظهره في الركوع، فلا يرفعه ولا يخفضه، وأن يعتدل بدون كسل ولا ملل، وألا يقعي كإقعاء الكلب، ولا يسجد على ذراعيه، ولكن على كفيه، وأن يضع جبهته على الأرض، ولا ينقرها نقرأ، وأن لا يكثر من الحركات، أما الالتفات لغير حاجة ماسة فهو يبطلها.

٣. ومن إقامتها المحافظة على خشوعها: والخشوع هو لب الصلاة، وهو المقصود منها، ولهذا

نبه النبي ﷺ على هذا الأمر، وأكثر من التركيز عليه فقال: «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلواته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها» [رواه أحمد وحسنه الألباني]. يا ترى لماذا حرم هذا الثواب؟! إنه التفاوت في الخشوع والتفكير والخشوع..

ومن الخشوع: التفكير في معاني الآيات، وماذا يراد منها، والتفاعل معها، والبكاء من خشية الله، ولهذا كان رسول الله ﷺ لا يمر بآية فيها تخويف أو تعظيم لله إلا كررها. رواه مسلم. وكان رسول الله أيضاً: لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وإذا مر بآية فيها تسبيح لله سبح). فهذا هو الخشوع والتفكير..

٤. ومن إقامة الصلاة: المحافظة عليها في أوقاتها مع جماعة المسلمين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣]: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

فِي شَرْحِ الْأَعْيَانِ النَّوَوِيَّةِ

وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَفُؤُومُوا لِلَّهِ قَسْنَتَيْنِ ﴿البقرة: ٢٣٨﴾، ومن المحافظة عليها وإقامتها: ترك الشواغل إذا نودي للصلاة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿الجمعة: ٩﴾. والرسول ﷺ يكون مع أهله، فإذا نودي للصلاة قام كأن لم يعرف أحداً.

إيتاء الزكاة:

الزكاة في الإسلام هي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، وهي مفروضة بإجماع المسلمين، بأدلة من الكتاب كقول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿البقرة: ٤٣﴾ والأحاديث المستفيضة. واقرنت الزكاة بالصلاة في القرآن في اثنين وثمانين آية، وفرضت الزكاة في السنة الثانية للهجرة، ودلت على فرضها آيات قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْبُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿التوبة: ٣٤﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال الشافعي: «فأبان الله تعالى في هاتين الآيتين فرض الزكاة؛ لأنه إنما عاقب على منع ما أوجب، وأبان أن في الذهب، والفضة الزكاة. قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني والله تعالى أعلم في سبيله الذي فرض من الزكاة وغيرها». فقد ألحق الوعيد الشديد بمن كثر الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله ولا يكون ذلك إلا بترك الفرض.»

وقد جاء الوعيد الشديد لمن منع الزكاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُخِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ وَظَهْرَهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْإِبْلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمَنْ حَقَّهَا حَلَبَهَا يَوْمَ وَرَدَهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُطْحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فِصِيلًا وَاحِدًا، تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعْضُهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي

القول النبوي

مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ، وَلَا جَلْحَاءٌ، وَلَا عَضْبَاءٌ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأُظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُفْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزُرٌّ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وَزُرٌّ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِبَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وَزُرٌّ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَائِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طَوْلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَائِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْحُمْرُ؟ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ فِي الْحُمْرِ شَيْءٌ، إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَادَةُ الْجَامِعَةُ»: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ١٧].

صوم رمضان:

الصَّوْمُ لُغَةً: الْإِمْسَاكُ عَنِ الشَّيْءِ وَالتَّرَكُّ لَهُ؛ وَقِيلَ لِلصَّائِمِ صَائِمٌ لِإِمْسَاكِهِ عَنِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَنَكْحِ، وَقِيلَ لِلصَّائِمِ صَائِمٌ لِإِمْسَاكِهِ عَنِ الْكَلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلْ وَأَشْرِبْ وَفَرِّ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلْ وَأَشْرِبْ وَفَرِّ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] وَقِيلَ لِلْفَرَسِ صَائِمٌ لِإِمْسَاكِهِ عَنِ الْعَلْفِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كُلُّ مُمْسِكٍ عَنِ طَعَامٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ سَيْرٍ فَهُوَ صَائِمٌ (١).

وَالصَّوْمُ شَرْعًا: هُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْمَقْطَرَاتِ، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، بِنَيْتِهِ (٢).

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم ٩٨٧.

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢ / ٣٥٠).

(٣) «المغني» لابن قدامة (٣ / ١٠٥).

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاحِي

وقد جاء الامر في كتاب الله بالصيام: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(١).

حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا:

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة العظيمة، فرضه الله على القادرين مرة في العمر، وجعل الله للمسلمين فيه منافع دينية ودنيوية كثيرة، وينبغي للمسلم قبل الشروع فيه الاستعداد له بكل ما يلزم ومن ذلك معرفة صفته، وكيفية القيام به على أكمل وجه، حتى يؤدي مناسكه كما أحب الله وأراد، ويرجع هو من حجه وقد نال مرامه.

وقد أمر الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقد ورد الامر بالحج وهو مرة واحدة العمر عن أبي هريرة، قَالَ: حَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكَلَّ عَامَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»^(٢).

١. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ لِأَن سؤَالَهُ يَقْتَضِي عَدَمَ الْعِلْمِ بِمَا سَأَلَ عَنْهُ وَتَصَدِيقَهُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيمَا أَجَابَهُ بِهِ يَقْتَضِي أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِ، فَكَانَ ظَاهِرَ حَالِهِ أَنَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ.

٢. قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الصيام، باب: الرَّيَّانُ لِلصَّائِمِينَ برقم (١٨٩٦)، ورواه مسلم، كتاب الصيام، باب فَضْلِ الصِّيَامِ برقم (١١٥٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فَرَضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ، برقم ١٣٣٧.

وَتُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقَتْ.

• **الإيمان لغة:** التصديق وقيل هو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول والإذعان وهو مطابق للشرع.

• **وشرعاً:** تصديق بالقواعد الشرعية من وجوب وجُوده - سبحانه وتعالى - ووَحدَانِيَّتِهِ وصفاته الثابتة له، وتنزيهها عن سمات الحدّث والنَّقْص

الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ:

«الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء:

الأول: الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى. فمن أنكر الله تعالى فليس بمؤمن.

الثاني: الإيمان بانفراده بالربوبية، أي تؤمن بأنه وحده الرّب وأنه منفرد بالربوبية، والرب هو الخالق المالك المدبر.

الثالث: إيمان بانفراده بالألوهية، وأنه وحده الذي لا إله إلا هو لا شريك له، فمن ادعى أن مع الله إلهاً يُعبد فإنه لم يؤمن بالله، فلا بد أن تؤمن بانفراده بالألوهية، وإلا فما آمنت به.

الرابع: أن تؤمن بأسماء الله وصفاته بإثبات ما أثبتته سبحانه لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل، فمن حرّف آيات الصفات أو أحاديث الصفات فإنه لم يحقق الإيمان بالله.

«الإيمان بالملائكة يتضمّن:

أولاً: الإيمان بأسماء من علمنا أسماءهم، أن تؤمن بأن هناك ملكاً اسمه كذا مثل جبريل.

ثانياً: أن تؤمن بما لهم من أعمال، مثلاً: جبريل: موكل بالوحي، ينزل به من عند الله إلى رسله.

وميكائيل: موكل بالقطر أي المطر، والنبات أي نبات الأرض. وإسرافيل: موكل بالنفخ في الصور.

هؤلاء الثلاثة كان النبي ﷺ يذكرهم عندما يستفتح صلاة الليل فيقول: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ^(١).

والحكمة من هذا: أن كل واحد منهم موكل بحياة: فجبريل موكل بالوحي وهو حياة القلوب كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا

(١) رواه مسلم - كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (٧٧٠)، (٢٢٠).

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِ الْبُحُورِ

تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: ٥٢﴾ وميكائيل موكل بالقطر والنبات وهو حياة الأرض، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور وهو حياة الناس الحياة الأبدية.

الإيمان بالكتب:

مكتوب والمراد بها الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله لأنه ما من رسول إلا أنزل الله عليه كتاباً كما قال الله ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكُتُبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعِيّاً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿البقرة: ٢١٣﴾.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

أولاً: أن نؤمن بأن الله تعالى أنزل على الرسل كتباً، وأنها من عند الله ولكن لانؤمن بأن الكتب الموجودة في أيدي هذه الأمم هي الكتب التي من عند الله لأنها محرّفة ومبدلة، لكن أصل الكتاب المنزل على الرسول نؤمن بأنه حق من عند الله.

ثانياً: أن نؤمن بصحة ما فيها من أخبار كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

ثالثاً: أن نؤمن بما فيها من أحكام إذا لم تخالف الشريعة على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا - وهو الحق - إذا لم يرد شرعنا بخلافه.

رابعاً: أن نؤمن بما علمنا من أسائها، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزيور وصحف إبراهيم وصحف موسى.

الإيمان بالرسول:

الإيمان برسول الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾.

فذكر الله تعالى الإيـان بالرسـل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيـان. وبين أنهم في إيـانهم بالرسـل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعاً. وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيـان بالرسـل فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ﴾ (١٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿النساء﴾: فأطلق الكفر على من كذب بالرسـل أو فرق بينهم بالإيـان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقاً أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

وقد بين النبي ﷺ أن الأنبياء حق عن ابن عباس ؓ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (١).

فتقرر وجوب الإيـان بالرسـل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكبر خصال الإيـان وأن من كذب بالرسـل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيم كفرة صريحاً بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيـان.

الرسـل بشرٌ مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية أو الألوهية شيء، بل تلحقهم جميع خصائص البشر من المرض والموت والحاجة إلى الأكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر من النكاح و التناسل - عدا الصفات المنفرة -، ولكنهم يمتازون عن غيرهم بأنهم أصدق الناس وآمن الناس، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأرحم الناس بالناس، وأتقى الناس، ولا يقعون في المعاصي، وأن الله تعالى أوحى إليهم دون سواهم من الناس، قال الله تعالى أمراني به محمداً ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

(١) رواه البخارى - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] برقم (٧٤٩٩).

الإيمان بالرسول هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالاً وتفصيلاً.

« فالإيمان المجمل:

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا بُولُوكَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

وقال تعالى: بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل: قال تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأما شرائعهم فمختلفة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وبأنهم قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق. قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

« وأما الإيمان المفصل:

فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته منهم، إيماناً مفصلاً على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٣] وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [٨٤] وَذَكَرْنَا وَيْحَ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ [٨٥] وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُودًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ [الأنعام: ٨٣ -

٨٦] وورد ذكر الباقيين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَادُوا أَخَاهُمْ هُوْدًا قَالَ يَنْقَوْمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَتَّبِعُوا هَادًا أَصْحَابَ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ يَنْقَوْمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَكْفُرُوا بِآيَاتِنَا وَأَلْفَبًا يَكْفُرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٥]. وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِذِ يَقُولُ لِصَالِحِهِاتِ يَا آلِ الْعِمْرَانِ أَتَعْبُدُونَ مَا كَفَرَ آبَاءَكُم مِمَّا قَبْلُ مَا يَدَّعُونَ﴾ [آل عمران: ٣٣]. وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]. وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

الايان باليوم الاخر:

• مفهومُ الايمان باليوم الآخر:

هو الاعتقادُ الجازمُ بصحةِ إخبارِ الله تعالى وإخبارِ رسله عليهم الصلاة والسلام ببناءِ هذه الدنيا، وما يسبقُ ذلك من أماراتٍ وما يقع في اليوم الآخر من أهوالٍ واختلافِ أحوال، كذلك التصديقُ بالأخبار الواردة عن الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب، وما يجري فيها من الأمور العظام، كبعث الخلائق وحشرهم ومحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم الاختيارية التي قاموا بها في الحياة الدنيا.

ويتضمن الايمان باليوم الاخر الأمور التالية:

الايان بفتنة القبر، ونيمة للمؤمنين، وبعذابه لمن كان له أهلاً، كما جاءت به الأخبار متواترة عن رسول الله ﷺ، قال تعالى آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بَغلة له ونحن معه إذ حادَتْ به فكادَتْ تُلقيه وإذا أَقْبَرُ سِتَّةٌ أو خَمْسَةٌ أو أَرْبَعَةٌ - قَالَ كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجَرِيرِيُّ - فَقَالَ «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ». فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا. قَالَ «فَمَتَى مَاتَ هُوَ لَاءَ». قَالَ مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ. فَقَالَ «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُنْبِئُ فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ فَقَالَ «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْقَبْرِ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ الدَّجَالِ «قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» (١).

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة ونيمةها، باب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِبْتِائِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّدِ مِنْهُ برقم ٢٨٦٧.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ نَبِيًّا

وأحوال البرزخ من أمور الغيب التي يدركها الميت دون غيره، وهي لا تدرك بالحس في الحياة الدنيا، ولذلك فالإيمان بها مما يميز المؤمن بالغيب عن المكذب به.

الإيمان بالبعث:

وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عرأة غرلاً، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ﷺ» ثُمَّ قَرَأَ (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ) (١).

الإيمان بالحساب والجزاء:

فكلُّ إنسان يحاسب على عمله في الدنيا، ثم يوفى حسابه قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ونؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ في عرصات القيامة:

وأن ماءه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأنبيته بعدد نجوم السماء، وطوله شهرٌ، وعرضه شهرٌ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ما آية الحوض قال «والذي نفس محمد بيده لا يبيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا في الليلة المظلمة المصحبة آتية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشحب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضُه مثل طولِه ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل» (٢).

وأن أصنافاً من أمة محمد عليه الصلاة والسلام سيُؤادون عنه، ويمنعون من وروده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا إِخْوَانَنَا». قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله قال «أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله فقال «أرأيت لو أن رجلاً له خيلٌ عُزٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بِهِمْ (٣) أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ». قالوا بلى يا رسول الله قال «فإنهم يأتون غرّاً مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيُؤَادَنَّ

(١) رواه أحمد، برقم (١٩٧٨) وابن حبان برقم (٧٤٤٢ و ٧٤٤٥) وصححه الالباني.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته برقم (٦١٢٩).

(٣) بهم: جمع بهيم وهو الأسود وقيل الذي لا يخالط لونه لون سواه - الدهم: جمع أدهم وهو الأسود.

رَجَالَ عَن حَوْضِي كَمَا يُدَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أَنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ. فَيَقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»^(١).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لِيَرُدَّنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُجَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيْرِ بَعْدِي»^(٢).

وفي ذلك اليوم تدنو فيه الشمس من رؤوس العباد، حتى يكون عرق الناس على قدر أعمالهم، فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ». «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلِحُّهُ الْعَرَقُ إِبْجَامًا». قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ^(٣).

وَنُؤْمِنُ بِالصَّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ:

وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمرُّ عليه الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمرُّ كلمح البصر، ومنهم من يمرُّ كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم، فإنَّ على الجسر كلاليب تحطف الناس بأعمالهم، فمن مرَّ على الصراط دخل الجنة ونجا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَيُضْرَبُ جَسْرُ جَهَنَّمَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «فَإِنَّمَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُمَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمُوْبِقُ، بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو»^(٤).

فإذا عبروا عليه، وقفوا عند قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض، فإذا هُذِّبوا ونُقِّوا، أذن لهم في دخول الجنة. عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «يَخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة العرة والتحجيل في الوضوء، برقم ٢٤٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة العرة والتحجيل في الوضوء، برقم ٢٤٩.

(٣) رواه مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب في صفة يوم القيامة أعانتنا الله على أهوالها، برقم ٢٨٦٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، برقم ٦٥٧٣ رواه مسلم، كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم ١٨٢.

فِي شَرْحِ الْأَعْيَانِ النَّوَوِيَّةِ

مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ
لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(١).

وَنُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنِيَانِ:

وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَهَا أَهْلًا فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فإِلَى الْجَنَّةِ بِفَضْلِهِ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فإِلَى النَّارِ بَعْدَلِهِ.
قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

• الإيـان بالقضاء والقدر:

والمقصود هنا: هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره، وأنه الفعـال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدييره، ولا تحيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما حُط في اللوح المسطور، وأنه خالق أفعال العباد والطاعات والمعاصي، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم، وجعلهم مختارين لأفعالهم، غير مجبورين عليها، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم، والله خالقهم وخالق قدرتهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

الأدلة على إثبات القدر:

الإيـان بالقدر ركن من أركان الإيـان وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرِ﴾ [القمر: ٤٩].

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن أركان الإيـان فذكر منها: «الإيـان بالقدر خيره وشره» وقد تقدم الحديث، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ»^(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٣)

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، بَابُ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، برقم ٦٥٣٥.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، برقم ٩٠ «وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

(٣) رواه مسلم، كتاب القدر، بَابُ كُلِّ شَيْءٍ بِقَدْرِ، برقم ٢٦٥٥.

الْقَوْلُ بِالْقَدْرِ

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم، عَنْ طَاوُسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُونَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ، أَوْ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ»^(١).

قال الإمام النووي: (تَظَاهَرَتْ الْأَدَلَّةُ الْقَطْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)^(٢)

• مراتب القدر:

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علماً.

فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُجَبِّئَانِهِ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»^(٣).

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، بَابِ حِجَاكِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، برقم ٢٦٥٣.

(٢) شرح النووي على مسلم - (١ / ٧٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب القدر، بَابِ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ، برقم ٢٦٥٨.

(٤) رواه مسلم، كتاب القدر، بَابِ حِجَاكِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، برقم ٢٦٥٣.

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة.

فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء.

فما سواه مخلوق، والله خالقه وخالق فعله وحركته وسكونه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، قال سبحانه ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

يخبر تعالى عن عظمته وكماله، الموجب لخسران من كفر به فقال هذه العبارة وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بقدم بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدم الأرض والسماوات، وكالقائلين بقدم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. وهو من جوامع كلمه الذي أوتيتها؛ لأنه لو قدرنا أن أحدا قام في عبادة وهو يعاين ربه -تعالى- لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن الصمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن الوجوه إلا أتى به، فقال: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادته في حال العيان، فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع ربه عليه -تبارك وتعالى-، فلا يقدم على تقصير في هذا الحال إلا اطلاع عليه، وهذا المعنى موجود في عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه.

فمقصود الكلام: الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه -تبارك وتعالى- في إتمام

الخشوع والخضوع وغير ذلك.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ

وقد نَدَبَ أَهْلُ الْحَقَائِقِ إِلَى مَجَالِسَةِ الصَّالِحِينَ لِيَكُونَ ذَلِكَ مَانِعًا مِنْ تَلَبُّسِهِ بِشَيْءٍ مِنَ النَّقَائِصِ احْتِرَامًا لَهُمْ وَاسْتِحْيَاءً مِنْهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَزَالُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مُطَّلِعًا عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ^(١).

قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنَّ تَلَدَ الْأُمَّةِ رَبَّتْهَا، وَأَنَّ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.

لما سأله عن الساعة أخبره عنها بجواب كاف شاف وهو من جوامع كلمه ﷺ وذلك أن علم الساعة عند الله لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَلُهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ يُسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَلُهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قال ابن كثير: «أي ليس علمها إليك، ولا إلى أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلى الله، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين».

وللساعة علامات تدل على قربها، وقد ذكر النبي ﷺ في الحديث علامتان من هذه العلامات.

الأولى: أن تلد الأمة ربتها.

قال النووي: «جاء في رواية: ربهها، وفي أخرى: بعلها، قال الأكثرون من العلماء: هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها».

الثانية: أن ترى أسافل الناس يصيرون رؤساء وتكثر أموالهم ويشيدون المباني العالية مباحة وتفاحراً على عباد الله.

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١/ ٢٧٢)، و«الفتح» لابن رجب (١/ ٢١١ - ٢١٥).

فِي شَرْحِ الْأَيْعِينَ النَّوَوِيَّةِ

قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدل الحال، فاستولى أهل البادية على الأمر، وتملكوا البلاد بالقهر، فتكثر أموالهم وتنصرف همومهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به.

دلالة على فساد الزمن بين يدي الساعة، حيث تضعف الأخلاق، ويكثر عقوق الأولاد ومخالفتهم لأبائهم فيعاملونهم معاملة السيد لعييده وتنعكس الأمور وتختلط، حتى يصبح أسافل الناس ملوك الأمة ورؤساءها، وتسند الأمور لغير أهلها، ويكثر المال في أيدي الناس، ويكثر البذخ والسرف، ويتباهى الناس بعلو البنيان، وكثرة المتاع والأثاث، ويُتعالى على الخلق ويملك أمرهم من كانوا في فقر ويؤس، يعيشون على إحسان الغير من البدو والرعاة وأشباههم.

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا عَمْرُؤَ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.

دالٌّ على أن الربَّ - جل جلاله - يُمكن الملائكة أن يتمثلوا فيما شاءوا من صور بني آدم، كما نصَّ الله على ذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وقد كان جبريل يتمثل لنبينا - عليه أفضل الصلاة والسلام - في صورة دحية بن خليفة، وقد رآه على هيئته مرتين.



الحديث الثالث أركان الإسلام

عن أبي عبد الرحمن - عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنها - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(١).

ترجمة الراوي:

أبو عبد الرحمن. عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي. ولد عبد الله بن عمر بعد بعثة النبي ﷺ بستين أسلم عبد الله بن عمر مع أبيه، وهو ابن أربع سنوات؛ وذلك لأن عمر أسلم في العام السادس من بعثة النبي ﷺ، وهاجر إلى المدينة قبل أبيه، ومات النبي ﷺ، وكان عمر عبد الله بن عمر إحدى وعشرين عاماً^(٢).

روى عبد الله بن عمر ألفين وست مائة وثلاثين حديثاً بالمكرر، اتفقا له الشيخان على مائة وثمانية وستين حديثاً، وانفرد له البخاري بأحدٍ وثمانين حديثاً، ومسلم بأحدٍ وثلاثين حديثاً. قال الليث بن سعد: كتب رجل إلى ابن عمر أن يكتب إليّ بالعلم كله، فكتب إليه: إن العلم كثير؛ ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن عن أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم، فافعل^(٣).

كان عبد الله بن عمر كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى إنه نزل منزله، ويصلي في كل مكان صلى فيه، وحتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان عمر يتعاهدها بالماء لثلاث تيبس^(٤).

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على النبي ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا أقصّها على النبي ﷺ وكنت غلاماً شاباً أعزب، وكنت أنام في

(١) رواه البخاري، كتاب الايمان، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: بُني الإسلام على خمس، برقم ٨ رواه مسلم، كتاب الايمان، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: بُني الإسلام على خمس، برقم ١٦.

(٢) (أسد الغابة؛ لابن الأثير، ج ٣، ص ٢٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ج ٣، ص ٢٢٢.

(٤) أسد الغابة؛ لابن الأثير، ج ٣، ص ٢٣٦.

فِي شَرْحِ الرَّابِعِ الْوَعْدِ

المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لن تراع فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على النبي ﷺ، فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يُصلي بالليل»، قال سالم (ابن عبد الله بن عمر): فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً^(١).

قال نافع: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه يُحبي الليل صلاةً، ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح^(٢).

قال نافع: مرض ابن عمر، فاشتبهى عنباً أول ما جاء، فأرسلت امرأته بدرهم، فاشتريت به عنقوداً، فأتبع الرسول سائلٌ، فلما دخل، قال: السائل، السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إيّاه، ثم بعثت بدرهم آخر، قال: فأتبعه السائل، فلما دخل، قال: السائل، السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إيّاه، فأعطوه، وأرسلت صفيّة إلى السائل تقول: والله لئن عدت لا تصيب مني خيراً، ثم أرسلت بدرهم آخر، فاشتريت به^(٣).

قال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد^(٤).

قال نافع: خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، ووضعوا السفارة له، فمر بهم راعي غنم، فسلم فقال ابن عمر: هلم يا راعي، فأصب من هذه السفارة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه وأنت في هذا الحال ترعى هذه الغنم؟ فقال: والله إني أبادر أيامي هذه الخالية، فقال له ابن عمر وهو يريد أن يحتبر ورعه: فهل لك أن تبعنا شاةً من غنمك هذه، فنُعطيك ثمنها، ونُعطيك من لحمها ما تظفر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي، فقال له ابن عمر: فما يفعل سيّدك إذا فقدها، فولى الراعي عنه وهو رافع أصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر و يُردّد قول الراعي، يقول: قال الراعي فأين الله؟ قال: فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشتري منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم^(٥).

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ برقم ١١٢١ ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب مَنْ فَضَّائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم ٢٤٧٩.

(٢) (حلية الأولياء؛ لأبي نعيم الأصفهاني، ج ١، ص ٣٠٣ : ٣٠٤).

(٣) (سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ج ٣، ص ٢٢٠).

(٤) (حلية الأولياء؛ لأبي نعيم الأصفهاني، ج ١، ص ٢٩٦).

(٥) (أسد الغابة؛ لابن الأثير، ج ٣، ص ٢٣٦ : ٢٣٧).

من أقوال ابن عمر:

يا بن آدم، صاحب الدنيا ببدنك، وفارقها بقلبك وهمك؛ فإنك موقوف على عملك، فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت يأتيك الخير^(١).

كان عبد الله بن عمر يدعو على الصفا: اللهم اعصمني بدينك وطاعتك وطاعة رسولك، اللهم جنبني حدودك، اللهم اجعلني ممن يحبُّك ويحبُّ ملائكتك، ويجب رسلك، ويجب عبادك الصالحين، اللهم حببني إليك، وإلى ملائكتك، وإلى رسلك، وإلى عبادك الصالحين، اللهم يسرني لليسرى، وجنبني العسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى، واجعلني من أئمة المتقين، اللهم إنك قلت: ﴿رَبُّكُمْ أَدْعُوْا أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وإنك لا تخلف الميعاد، اللهم إذ هديتني للإسلام، فلا تنزعني منه، ولا تنزعه مني حتى تقبضني وأنا عليه^(٢).

مات عبد الله بن عمر سنة أربع وسبعين من الهجرة، وكان عمره ستة وثمانين عاماً^(٣).

مسائل وفوائد:

وهو حديثٌ عظيم، أحد قواعد الإسلام، وجوامع الأحكام؛ إذ فيه معرفة الدين وما يعتمد عليه، ويجمع أركانه، وكلها منصوصٌ عليه في القرآن، وهو داخل في ضمن حديث جبريل؛ فلذا اكتفينا بما بسطناه ثم.

١. قال أبو العباس القرطبي رحمه الله تعالى: يعني أن هذه الخمس أساس دين الإسلام وقواعده التي عليها بني وبها يقوم وإنما خص هذه بالذكر ولم يذكر معها الجهاد مع أنه يظهر الدين ويقمع عناد الكافرين لأن هذه الخمس فرض دائم والجهاد من فروض الكفايات وقد يسقط في بعض الأوقات.

٢. الحكمة العظيمة في أركان الإسلام أنها:

بذل المحبوب، والكف عن المحبوب، وإجهاد البدن، كل هذا امتحان.



(١) (حلية الأولياء، لابي نعيم ج ١، ص ٣٠٦).

(٢) (حلية الأولياء، لابي نعيم ج ١، ص ٣٠٨).

(٣) (البداية والنهاية؛ لابن كثير، ج ٩، ص ٦).

الحديث الرابع الأعمال بخواتيمها

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الصدوق «إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمَ نُطْفَةِ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَ يُؤَمَّرَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن مسعود بن غافل - بالغين المنقوطة والفاء - ابن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو عبد الرحمن بن الهذلي، حليف بني زهرة، وكان أبوه مسعود بن غافل قد حالف في الجاهلية عبد الله بن الحارث ابن زهرة، وأم عبد الله بن مسعود أم عبد بنت عبد ود بن سواء بن قريم ابن صاهلة من بني هذيل أيضا، وأمها زهرية قبيلة بنت الحارث بن زهرة.

العالم الرباني، الأواه الأواب، الخاشع البكاء، إنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداخِل عليه دوماً وليس بمردود، والحافظ الأمين لجميع الأسرار والعهود، الذي كان يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم إذا نام، بل ويستره إذا اغتسل، إنه الضعيف القوي! إنه الفقير الغني! إنه المؤمن التقي النقي الأبّي، إنه الغلام المعلم، والقارئ الملقن، والفقهاء المفهم، إنه الرجل الذي وصفه فاروق الأمة عمر وصفاً دقيقاً محكماً في ثلاث كلمات لا تزيد، فقال عنه عمر: كنيف ملء علماً! أي: وعاء ملء علماً.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خَلَقَ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَدُرَيْتِهِ، برقم ٣٣٣٢، ورواه مسلم، كتاب القدر، باب كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، برقم ٢٦٤٣.

القول النبوي

كان إسلامه قديماً في أول الإسلام في حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب قبل إسلام عمر بزمان، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر به رسول الله ﷺ، وأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم، فدرت عليه لبنا غزيراً. عن ابن مسعود. قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله ﷺ فقال لي: يا غلام، هل من لبن؟ فقلت: نعم، ولكنني مؤتمن. قال: فهل من شاة حائل لم ينز عليها الفحل؟ فأتيت به شاة فمسح صرعها، فنزل لبن فحلبه في إناء وشرب وسقى أبابكر، ثم قال للضرع: اقض فقلص، ثم أتيت به بعد هذا فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا القول، فمسح رأسي، وقال: يرشحك الله، فإنك عليهم معلم. قال أبو عمر: ثم ضمّه إليه رسول الله ﷺ، فكان يلج عليه ويلبسه نعليه، ويمشي أمامه، ويستتره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام. وقال له رسول الله ﷺ: إذنك علي أن ترفع الحجاب، وأن تسمع سوادي حتى أنك، وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك، شهد بدر والحديبية، وهاجر الهجرتين جميعاً: الأولى إلى أرض الحبشة، والهجرة الثانية من مكة إلى المدينة، فصلى القبلتين، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً، وما نحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي ﷺ لكثرة دخولهم وخروجهم عليه ^(١).

عن أم موسى سمعت علياً يقول: أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود فصعد شجرة يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة ساقه فقال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد» ^(٢).

عن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمع من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، فغمزني برجله فإذا عيناه تذر فان ^(٣).

(١) متفق عليه: ورواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه برقم ٣٧٦٣ رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما برقم ٢٤٦٠.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢ / ١١٤)، وابن سعد (٣ / ١٥٥)، وأحمد (١ / ١٤٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره برقم ٥٠٤٩ رواه

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

قال ﷺ ارض بما قسم الله تكن من أغنى الناس واجتنب المحارم تكن من أروع الناس وأد ما افترض عليك تكن من أعبد الناس^(١).

مرض ﷺ فعاده عثمان وقال: ما تشتكي قال: ذنوبي قال: فما تشتهي قال: رحمة ربي قال: إلا أمر لك بطبيب قال: الطبيب أمرضني قال: إلا أمر لك بعبء؟ قال: لا حاجة لي فيه^(٢).

مات ابن مسعود ﷺ بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين وكان نحيفا قصير شديد الأدمة.

مسائل وفوائد:

١. في هذا ذكر النبي ﷺ أطوار الجنين في بطن أمه، وأنه يتقلب في بطن أمه مائة وعشرون يوماً في ثلاثة أطوار، فيكون في الأربعين الأولى نطفة، ثم في الأربعين الثانية علقة، ثم في الأربعين الثالثة مضغة.

قال تعالى في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

أن نفخ الروح يكون بعد تمام أربعة أشهر، لقوله: «ثم يرسل إليه الملك...».

٢. أن من الملائكة من هو موكل بالنفخ في الأجنة. والملائكة كثيرون، وكل له عمل خاص به.

٣. وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، لقوله تعالى: «ويؤمر بكتب أربع كلمات: بكتب رزقه... قوله (ويؤمر بكتب أربع كلمات...) هذه الكتابة تسمى التقدير العمري والتقدير على أنواع:

الأول: التقدير العام لجميع الأشياء في اللوح المحفوظ.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ

مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبقاء عند القراءة والتدبر برقم ٨٠٠.

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٥.

(٢) المرجع السابق.

قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(١).

الثاني: التقدير العمري.

كما في حديث الباب.

(وهذا التقدير يختلف عن التقدير الذي في اللوح المحفوظ بأن التقدير العمري يقبل التغيير والمحو، وأما الذي في اللوح المحفوظ فإنه لا يقبل التغيير، بمعنى أن ما كتبه الله في اللوح المحفوظ لا يقبل المحو ولا التغيير).

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

قال الشيخ السعدي: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ يمحو الله ما يشاء من الأقدار ويثبت ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه، وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال { وعنده أم الكتاب } أي اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع وشعب، فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب.

ولهذا كان عمر يقول: اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً.

وهذا يعني به الكتابة في صحف الملائكة لا الذي في اللوح المحفوظ

الثالث: التقدير السنوي وذلك يكون في ليلة القدر.

كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

الرابع: التقدير اليومي.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

الحث على العلم الصالح والإكثار منه، لأن الإنسان لا يدري متى يأتيه الموت.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ☒ برقم ٢٦٥٣.

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد: ٢١].

التوكل على الله، وعدم الخوف من الفقر، لأن الرزق مكتوب:

٤. أن الناس ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما: شقي، أو سعيد.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فِرْيُونٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْيُونٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ [هود: ١٠٦].

وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

٥. التحذير من سوء الخاتمة.

وقد كان السلف رحمهم الله يخافون من سوء الخاتمة.

كان مالك بن دينار، يقوم طول ليله قابضاً على لحيته، ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك.

قال ابن رجب: «إن خاتمة السوء تكون بسبب دسياسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت».

والاعمال بالخواتيم: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»^(١).

٦. في قوله ﷺ: «إن أحدك يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» جاء في رواية تبين معنى الحديث، وهي: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار».

٧. يجب على المسلم أن يحرص أن يطهر باطنه، كما يحرص أن يطهر ظاهره.

٨. التحذير من المعاصي والذنوب، وخاصة الخفية.

٩. الحذر من أن يغتر الإنسان بعمله الصالح.

١٠. قرب الجنة والنار من العبد. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(٢).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٣٤٠.

(٢) رواه البخاري، كِتَابُ الرَّفَاقِ، بَابُ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» برقم ٦٤٨٨.

١١. إذا سقط بعد نفخ الروح فيه فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ويسمى ويعق عنه، لأنه صار آدمياً إنساناً فيثبت له حكم الكبير.

١٢. أنه بعد نفخ الروح فيه يجرم إسقاطه بكل حال، فإذا نفخت فيه الروح فلا يمكن إسقاطه، لأن إسقاطه حينئذ يكون سبباً لهلاكه، ولا يجوز قتله وهو إنسان.

١٣. أحكام المرأة إذا أسقطت الجنين:

إذا سقط لأقل من ثمانين يوماً، فلا نفاس، والدمُّ حكمه حكم دم الاستحاضة. وإذا ولدت لواحد وثمانين يوماً فيجب التثبُّت، هل هو مخلوق أم غير مخلوق؛ لأن الله قَسَمَ المُّضْغَةَ إِلَى مَخْلُوقَةٍ، وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ بقوله: ﴿مِنْ مُّضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

والغالب: أنه إذا تمَّ للحمل تسعون يوماً تبيَّن فيه خلق الإنسان، وعلى هذا إذا وضعت لتسعين يوماً فهو نفاس على الغالب، وما بعد التسعين يتأكد أنه ولدٌ وأنَّ الدمَّ نفاس، وما قبل التسعين يحتاج إلى تثبُّت.

وإذا سقط بعد ١٢٠ يوماً فإن الدم نفاس ويسمى ويعق عنه ويصلى عليه لأنه تخلق واصبح جنيناً.



الحديث الخامس

إبطال المنكرات والبدع

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١). وفي رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

ترجمة الراوي:

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن كنانة، وأمها: أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبدشمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن وهبان بن حارث بن غنم بن مالك بن كنانة، ويلتقي نسبها مع النبي ﷺ من جهة الأب في الجدل السابع، ومن جهة الأمة في الجدل الحادي عشر أو الثاني عشر.

نشأتها..

ولدت عائشة بعد البعثة بأربع سنوات، خرجت إلى الدنيا فوجدت نفسها بين أبوين كريمين مؤمنين، بل وجدت نفسها ابنة خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فنشأت أم المؤمنين ﷺ في أحضان هذين الأبوين الكريمين وترعرعت في ظل هذا البستان الذي تنمو أشجاره في تربة الإيمان وتشرب من ماء الوحي، فكان أبوها كالدوحة الباسقة التي يستظل بظلها كالشجرة المباركة ذات القطف الدانية التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها

خصائصها: أنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه كما ثبت عنه ذلك في البخاري وغيره وقد سئل أي الناس أحب إليك قال عائشة قيل فمن الرجال قال أبوها.

ومن خصائصها أيضا: أنه لم يتزوج امرأة بكرة غيرها.

ومن خصائصها: أنه كان ينزل عليه الوحي وهو في لحافها دون غيرها.

ومن خصائصها: أن الله ﷻ لما أنزل عليه آية التخخير بدأ بها فخيرا فقال: «ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها (أي اقتدى) بقية أزواجه ﷺ وقلن كما قالت.

(١) رواه مسلم، كتاب الاقضية، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، بِرَقْمِ ١٧١٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، بَابُ النَّجْشِ، وَمَنْ قَالَ: «لَا يُجُوزُ ذَلِكَ الْبَيْعُ» بِرَقْمِ ٢١٤١.

الفوائد الذهبية

ومن خصائصها: أن الله سبحانه برأها مما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحياتى في محارب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة وشهد لها بأنها من الطيبات ووعددها المغفرة والرزق الكريم وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرا لها ولم يكن ذلك الذي قيل فيها سرا لها ولا عابئا لها ولا خافضا من شأنها بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكرا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء فيا لها من منقبة ما أجلها...

ومن خصائصها: أن الأكابر من الصحابة كان إذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها.

ومن خصائصها: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتها وفي يومها وبين سحرها ونحرها ودفن في بيتها ومن خصائصها: أن الملك أرى صورتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في سرقة حرير فقال النبي ﷺ إن يكن هذا من عند الله يمضه.

ومن خصائصها: أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يومها من رسول الله ﷺ تقربا إلى الرسول ﷺ فيتحفونه بما يحب في منزل أحب نسائه إليه ﷺ رضي الله عنهن أجمعين.

توفيت ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان من السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة والخمسين للهجرة، صلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام من أختها أسماء بنت أبي بكر والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان عمرها يومئذ سبعا وستين سنة.

مسائل وفوائد:

١. هذا الحديث أصل في رد البدع المستحدثة في دين الإسلام. قال النووي: «هذا الحديث مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به».

وقال الشيخ الألباني: «هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد إبطال كل البدع والمحدثات».

٢. خطر البدع والإحداث في الدين لأن البدع تستلزم أن الشريعة غير كاملة، وأنها لم تتم والعياذ بالله وهذا تكذيب للقرآن قال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فهذه الآية الكريمة تدل على تمام الشريعة وكمالها، وكفايتها لكل ما يحتاجه الخلق.

قال ابن كثير: «هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره».

٣. اتفق العلماء أن العبادة لا تصح إلا إذا جمعت أمرين:

أولهما: الإخلاص.

الثاني: المتابعة للرسول ﷺ، والمتابعة أخذت من هذا الحديث.

٤. ليعلم أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة: سببه، وجنسه،

وقدره، وكيفيته، وزمانه، ومكانه.

فإذا لم توافق الشريعة في هذه الأمور الستة فهو باطل مردود، لأنه أحدث في دين الله ما ليس منه.

أولاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في سببه: وذلك بأن يفعل الإنسان عبادة لسبب لم يجعله

الله تعالى سبباً مثل: أن يصلي ركعتين كلما دخل بيته ويتخذها سنة، فهذا مردود.

ثانياً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الجنس، فلو تعبد لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير

مقبولة، مثال ذلك: لو أن أحداً ضحى بفرس، فإن ذلك مردود عليه ولا يقبل منه، لأنه مخالف

للشريعة في الجنس، إذ إن الأضاحي إنما تكون من بهيمة الأنعام وهي: الإبل، والبقر، والغنم.

ثالثاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في القدر: فلو تعبد شخص لله ﷻ بقدر زائد على الشريعة

لم يقبل منه، ومثال ذلك: رجل توضع أربع مرات أي غسل كل عضو أربع مرات، فالرابعة لا

تقبل، لأنها زائدة على ما جاءت به الشريعة، بل قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ توضع ثلاثاً وقال:

مَنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ^(١).

رابعاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الكيفية: فلو عمل شخص عملاً، يتعبد به لله وخالف

الشريعة في كيفيته، لم يقبل منه، وعمله مردود عليه.

ومثاله: لو أن رجلاً صلى وسجد قبل أن يركع، فصلاته باطلة مردودة، لأنها لم توافق الشريعة

في الكيفية.

خامساً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الزمان: فلو صلى الصلاة قبل دخول وقتها،

فالصلاة غير مقبولة لأنها في زمن غير ما حدده الشرع.

ولو ضحى قبل أن يصلي صلاة العيد لم تقبل لأنها لم توافق الشرع في الزمان.

سادساً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في المكان: فلو أن أحداً اعتكف في غير المساجد بأن

يكون قد اعتكف في المدرسة أو في البيت، فإن اعتكافه لا يصح لأنه لم يوافق الشرع في مكان

الاعتكاف، فالاعتكاف محله المساجد.

(١) أخرجه الإمام أحمد- في مسند المكثرين، (٦٦٨٤)، والنسائي - كتاب: الطهارة، باب الاعتداء في الوضوء،

(١٤٠)، وابن ماجه، كتاب: الطهارة وسننها، باب: ما جاء في الفصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه، (٤٢٢).

فانتبه لهذه الأصول الستة وطبق عليها كل ما يرد عليك.

رواية مسلم: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ مَنْطُوقُ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَهُوَ مُرَدُّودٌ، وَهَذَا فِي الْعِبَادَاتِ لَا شَكَّ فِيهِ، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعِبَادَاتِ الْمَنْعُ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهَا.

فلو أن رجلاً تعبد لله عزّ وجل بشيءٍ وأنكر عليه إنسان، فقال: ما الدليل على أنه حرام؟ فالقول قول المنكر فيقول: الدليل: هو أن الأصل في العبادات المنع والحظر حتى يقوم دليل على أنها مشروعة.

أما غير العبادات فالأصل فيها الحل، سواء من الأعيان، أو من الأعمال فإن الأصل فيها الحل.

قواعد مهمه:

الأقسام في العبادات ثلاثة:

الأول: ما علمنا أن الشرع شرع من العبادات، فيكون مشروعاً.

الثاني: ما علمنا أن الشرع نهى عنه، فهذا يكون ممنوعاً.

الثالث: ما لم نعلم عنه من العبادات، فهو ممنوع.

وفي المعاملات والأعيان ثلاثة:

الأول: ما علمنا أن الشرع أذن فيه، فهو مباح، مثل أكل النبي ﷺ من حمر الوحش.

الثاني: ما علمنا أن الشرع نهى عنه كذات الناب من السباع، فهذا ممنوع.

الثالث: ما لم نعلم عنه، فهذا مباح، لأن الأصل في غير العبادات الإباحة.



الحديث السادس الحلال بين والحرام بين

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينها أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

ترجمة الراوي:

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الانصاري الخزرجي، و يكنى بـ ابو عبد الله، و ابوه هو بشير، و هو أول من بايع أبو بكر الصديق رضي الله عنه من الصحابة الأنصار يوم السقيفة، و كان بشير رضي الله عنه قد شهد بيعة العقبة و بدرًا و أحدًا و الخندق، ثم كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه فاستشهد يوم عين التمر.

و اما امه فهي عمرة بنت رواحة شقيقة عبد الله بن رواحة، و قد ولد الصحابي الجليل النعمان بن البشير بعد اربعة عشر شهرا من الهجرة، و اخذته امه الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فبشرها بأنه سيعيش حميدًا و يُقتل شهيدًا و يدخل الجنة، و كان له ابنتين و خمسة صبية، ولدوا له من امرأتين إحداهما أم عبد الله بنت هانئ الكندية و الاخرى نائلة.

قُتِلَ النعمانُ بنُ بشيرٍ بحمص غيلة، قتلَه أهلُ حمص وَهُوَ وَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ^(٢).

مسائل وفوائد:

١. **الحلال:** وهو ما نص الله ورسوله، أو أجمع المسلمون على تحليله. أو لم يعلم فيه منع. والحرام هو ما نص أو أجمع على تحريمه، أو على أن فيه حدا أو تعزيرًا، أو وعيدا.

٢. **مشتبهات:** ليست بواضحة الحل ولا الحرمة.

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الايمان، بابُ فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، برقم ٥٢، ورواه مسلم، كتاب المساقاة، بابُ أَخَذِ الْحَلَالِ وَتَرَكَ الشُّبُهَاتِ، برقم ١٥٩٩.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي ٤ / ١٥٠٠.

٣. قسم النبي عليه الصلاة والسلام الأمور إلى ثلاثة أقسام:

❑ حلال واضح لا يخفى حله مثل كآكل الخبز، والمشى.

❑ حرام واضح. كالخمر والزنا والغيبة.

❑ مشتبه: يعني ليست بواضحة الحل أو الحرمة فهذه لا يعرفها كثير من الناس، أما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس لأن ذلك أسلم وأبرأ لدينه من النقص، وعرضه من الكلام فيه أن من يقع في الشبهات يقع في الحرام لقوله ﷺ: «من وقع في الشبهات وقع في الحرام». أي من أقدم على ما هو مشتبه عنده، لا يدري أهو حلال أو حرام، فإنه لا يأمن أن يكون حراماً في نفس الأمر فيصادف الحرام وهو لا يدري أنه حرام

شبه النبي ﷺ الذي يقع في الشبهات بالراعي يرمى بغنمه وإبله حول الحمى، أي حول المكان المحمي، يوشك ويقرب أن يقع فيه، لأن البهائم إذا رأت الأرض المحمية مخضرة مملوءة من العشب فسوف تدخل هذه القطعة المحمية، كذلك المشتبهات إذا حام حولها العبد فإنه يصعب عليه أن يمنع نفسه عنها

• مسألة الحمى على نوعين:

❑ إذا حماه لنفسه وبهائمه فهو حرام.

❑ إذا حماه لدواب المسلمين كإبل الصدقة وإبل الجهاد فهو حلال، لأنه لم يختصه لنفسه، فرسول الله قال: «المُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْكَلْبِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ» رواه أبو داود والإمام أحمد.

من أسباب النجاة من الوقوع في الحرام الورع والابتعاد عن الشبهات:

قال أبو الدرداء: «تمام التقوى أن يتقي العبد ربه، حتى يتقيه من مثقال ذرة».

وقال الحسن البصري: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الوقوع بالحرام».

وقال الثوري: «إنما سموا متقين، لأنهم اتقوا ما لا يتقى».

فضل الورع:

الاحتياط براءة للدين والعرض.

حكمة الله في ذكر المشتبهات حتى يتبين من كان حريصاً على طلب العلم ومن ليس بحريص.

أنه لا يمكن أن يكون في الشريعة ما لا يعلمه الناس كلهم.

حسن تعليم النبي ﷺ بضرب الأمثال المحسوسة ليتبين بها المعاني المعقولة.

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

يجب على الإنسان أن يهتم بقلبه، لأن مدار الصلاح والفساد عليه، فإذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد.

وسمي القلب قلباً: لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن.

مسائل القلب:

أولاً: يجب دعاء الله بإصلاحه وتشييته.

وقد كان ﷺ يدعو: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك»^(١).

وكان قسم النبي ﷺ: لا ومقلب القلوب^(٢).

ثانياً: التحذير من التساهل في أمر القلب.

قال ﷺ: «إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»^(٣).

ثالثاً: لا ينفع يوم القيامة إلا القلب السليم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿الشعراء: ٨٨ - ٨٩﴾.

القلب السليم: هو السالم من الشرك والبدعة والآفات والمكروهات، وليس فيه إلا محبة الله وخشيته.

رابعاً: استحباب الدعاء بسلامة القلب.

كان ﷺ يقول «اللهم إني أسألك قلباً سليماً...» [رواه أحمد].

خامساً: أهم سبب لحياة القلب الاستجابة لله ولرسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ

اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۖ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿الأنفال: ٢٤﴾

سادساً: من أسباب لين القلب ذكر الله.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿الرعد: ٢٨﴾.

[٢٨].

(١) السنة، لابن أبي عاصم، برقم ٢٣٠، ١ / ١٠٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب القدر، باب ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، برقم ٦٦١٧.

(٣) رواه الترمذي، أبواب القدر، باب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِي الرَّحْمَنِ، برقم ٢١٤٠ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه الالباني في صحيح الترمذي وصحيح، ابن ماجه (٣٨٣٤).

سابعاً: من أسباب لين القلب العطف على المسكين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: **﴿عَنْ أَنَّ رَجُلًا، شَكَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ قَالَ: «إِنْ سَرَكَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَاْمَسْحَ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمَ الْمِسْكِينَ»﴾**^(١).

ثامناً: ومن أسباب رقة القلب زيارة المقابر.

عن ابن مسعود **﴿عَنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة»﴾**^(٢).

تاسعاً: التحذير من قسوة القلب.

قال تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِلْقَلْبِ إِذَا قَسَتْ قَلْبُهَا مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الزمر: ٢٢].

عاشراً: إذا صلح القلب صلح الجسد.

كما في حديث الباب.

من أقوال السلف:

قال بعض السلف: «خصلتنا تقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل».

وقال بعضهم: «البدن إذا عري رق، وكذلك القلب إذا قلت خطاياها أسرعت دمعته».

قال ابن القيم: «مفسدات القلب: كثرة النوم، والتمني، والتعلق بغير الله، والشبع، والمنام».

قال بعض العلماء: «صلاح القلب بخمسة أشياء: قراءة القرآن بتدبر، وخلاء البطن، وقيام

الليل، والتضرع بالسحر، ومجالسة الصالحين، وأكل الحلال».



(١) اعتلال القلوب للخرايطي ١ / ٣٣.

(٢) رواه الامام احمد، برقم ١٢٣٦، وصححه الالباني في / صحيح الجامع (٢٤٧٤)، الصحيحة (٨٨٦) //

الحديث السابع

الدين النصيحة

عَنْ أَبِي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسِ الدَّارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدين النصيحة» قُلْنَا مَنْ؟ قَالَ: «اللهُ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١)

ترجمة الراوي:

(تميم بن أوس) بن حارثة، وقيل: خارجة بن سؤد، وقيل: سواد بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار (الداري) -نسبة إلى جد له كان نصرانياً، وقدم المدينة فأسلم، وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال؛ إذ وجده هو وأصحابه في البحر، فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر، وعُد ذلك من مناقبه؛ إذ لم يقع نظيره لغيره وهو أول من أسرج السراج في المسجد، وكان كثير التهجد، يختم القرآن في ركعة، قام ليلة بـ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية حتى أصبح. مات سنة أربعين، ودفن ببيت جبرين أو جبريل من بلاد فلسطين، وهي قرية من قرى الخليل.

مسائل وفوائد:

١. (النصيحة) هي كالتصحيح بضم النون، مصدر (نصح) وقيل: الأول اسم مصدر، والثاني مصدر، هي لغة: الإخلاص والتصفية، من (نصحت له القول والعمل): أخلصته، ونصحت العسل: صفيته، شبهوا تخلص الناصح قوله من الغش بتخلص العسل من شمعه، أو من (النصح) بفتح النون؛ وهو: الخياطة، والمنصحة: الإبرة؛ والنصح: الخيط، والناصح: الخياط، شبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح ولم شعثه بما تسده الإبرة، وتضمنه من خرق الثوب وخلله، و (نصحت له) أفصح من (نصحته).

وشرعاً: إخلاص الرأي من الغش للمنصوح وإيثار مصلحته، ومن ثم كانت هذه الكلمة مع جازة لفظها كلمة جامعة، معناها: حيازة الخير للمنصوح له، بل ليس في كلام العرب أجمع منها ومن كلمة الفلاح لخيري الدنيا والآخرة. ودلت هذه الجملة على أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وعلى أن الدين يقع على العمل كما يقع على القول.

٢. قوله صلى الله عليه وسلم: (الله) بالإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بجميع صفات الكمال والجلال، وتنزيهه عن جميع النقائص وما لا كمال فيه من الأوصاف، والقيام

(١) رواه مسلم، كتاب الايمان، الدين النصيحة قُلْنَا مَنْ، برقم ١٠٦.

القَوْلُ الثَّالِثُ

بطاعته، وتجنب معصيته، والحب والبغض فيه، وموالاته من أطاعه، ومعاداته من عصاه، والرغبة في محابه، والبعد عن مساخطه، والاعتراف بنعمته، وشكره عليها، والدعاء إلى جميع ذلك وتعليمه، والإخلاص فيه لله عن كل نقص ووصف ليس ببالغ في الكمال المطلق أقصاه وغايته، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، وإلا.. فهو تعالى غني عن نصح الناصحين، ثم النصيحة الواجبة من ذلك هي شدة عناية الناصح بإيثاره محبة الله تعالى، بفعله جميع ما افترض، واجتنابه جميع ما حرم، والنافلة ما عدا ذلك.

٣. (ولكتاباه) مفرد مضاف، فيعم سائر كتبه المنزلة؛ بأن يؤمن بأنها من عنده وتنزيله، ويُميز القرآن بأنه لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر أحدٌ منهم على الإتيان بمثل أقصر سورة منه، وبأن يتلوه حق تلاوته: خشوعاً، وتدبُّراً، ورعاية لما يجب له مما اتفق عليه القراء، ويذب عنه تأويل المحرفين، وطعن الطاعنين، ويصدق بجميع ما فيه، ويقف مع أحكامه، ويتفهم أمثاله وعلومه، وينشرها، ويبحث عن عمومها وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيده، وظاهره ومجمله، ونحو ذلك، ويعتني بمواعظه، ويتفكر في عجائبه، ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه مع التنزيه عما يوهمه ظاهره مما لا يليق بعظيم جلال الله وعلي كماله، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، ويمسك عن الخوض في تفسيره ما دام لم تجتمع فيه آياته، ويدعو إلى جميع ذلك ويحض عليه، ويُرغب الناس في مسابقتهم إليه.

٤. (ولرسوله) بتصديق رسالته، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرة دينه حياً وميتاً، ومعاداته من عاداه، وموالاته من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء سنته بنشرها وتصحيحها، ونفي التهم عنها، وانتشار علومها، والتفقه في معانيها، والإمسك عن الخوض فيها بغير علم، والدعاء إليها، والتلطف في تعليمها، وإظهار إعظامها وإجلالها، وإجلال أهلها من حيث انتسابهم إليها، والتأدب بأدابه عند قراءتها، ومحبة آله وأصحابه، ومجانبة من ابتاع في سنته، أو انتقص أحدًا من صحابته، والدعاء إلى جميع ذلك سرًا وعلنًا، ظاهرًا وباطنًا.

٥. (ولأئمة المسلمين) وهم الخلفاء ونوابعهم، بطاعتهم فيما يوافق الحق؛ كالصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم إن طلبوها، أو كانوا عادلين، وترك الخروج عليهم وإن جاروا، والدعاء بالصلاح لهم، ومعاونتهم عليه، وتنبههم له، وتذكيرهم بالله وأحكامه وحكمه ومواعظه، لكن برفقٍ ولطفٍ، وإعلامهم بما غفلوا عنه، أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، وعدم إغرائهم بالثناء الكاذب عليهم.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

والعلماء بقبول ما روه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم، وإجلالهم وتوقيرهم، والوفاء بما يجب لهم على الكافة من الحقوق التي لا تخفى على الموفقين.

٦. (وعامتهم) بإرشادهم لمصالحهم في أمر آخرتهم وديانهم، وإعانتهم عليها بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسدّ خلاتهم ودفع المضارّ عنهم، وجلب المنافع إليهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر بشروطه المقررة في محلّها، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتعهدهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدّهم، وأن يحبّ لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وحثهم على التخلّق بجميع ما مر في تفسير النصيحة، اقتداءً بما كان عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، بل منهم من بلغت به النصيحة إلى أن أضرت بديانها ولم يبال بذلك

٧. والنصيحة خيرها سرّاً وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد.. وعظوه سرّاً، حتى قال بعضهم: مَنْ وعظ أخاه سرّاً.. فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس.. فإنها وبّخه، ومن ثم قال الفضيل: (المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير).

فضيلة النصيحة وأنها الدين:

وللنصيحة فضائل:

أولاً: أنها مهمة الرسل:

قال تعالى إخباراً عن نوح: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

ثانياً: أن منزلتها عظيمة. كما في حديث الباب.

ثالثاً: أنها من علامات كمال الإيمان.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال قال النبي صلى الله عليه وآله قال «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).

رابعاً: أنها من حقوق المسلم على أخيه المسلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ، يَعُودُهُ إِذَا مَرَّضَ

(١) رواه البخاري، كتاب الايمان، باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَنْصَحُ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ»^(١).

ينبغي أن تسود النصيحة بين المسلمين، فإنها من أعظم مكملات الإيمان.

سئل ابن المبارك: أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله.

وقال الفضيل: «المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير».

وقال أيضاً: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة».

قال أبو بكر المزني: «ما فاق أبو بكر أصحاب رسول الله بصوم ولا بصلاة، ولكن بشيء كان في قلبه.. قال ابن علية: الذي كان في قلبه الحب لله ﷻ والنصيحة في خلقه».

وقال أبو الدرداء: «إن شئتم لأنصحن لكم: إن أحب عباد الله إلى الله، الذين يحبون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الأرض نصحاً».

وقال حكيم: «ودك من نصحك».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى».

لقد طبق الصحابة رضوان الله عليهم هذا الحديث وعملوا به.

ورد «أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً، فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جريراً لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيد مائة مائة وصاحبه يرضى وجريراً يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها. فقيل له بذلك فقال: إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم»^(٢).

هكذا يفعل صحابة الرسول ﷺ في النصح للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم ولنا فيهم أسوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَنَزَّلَ الْوَعْدَ الَّذِي لَعَنُوا﴾ [الممتحنة]:

[٦].

(١) رواه الترمذي، أبواب الاداب، باب ما جاء في تسميت العاطس، برقم ٢٧٣٧ وقال هذا حديث صحيح وصححه الالباني في صحيح الترمذي (٢٨٩٣)، وفي الصحيح (٨٣٢).

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ١ / ٢٠٩.

ومن أعظم النصح أن ينصح لمن استشاره في أمره.

كما قال ﷺ: «إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه»^(١).

وكذلك النصح في الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قالت له فاطمة بنت قيس: قد خطبني أبو جهم ومعاوية، فقال لها: أما أبو جهم فرجل ضراب للنساء، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، فبين النبي ﷺ حال الخاطئين للمرأة، فإن النصح في الدين أعظم من النصح في الدنيا، فإذا كان النبي ﷺ نصح المرأة في دنياها فالنصيحة في الدين أعظم»^(٢).

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَنْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكَيْلَهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخَطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكَ، فَإِذَا حَلَلْتَ فَأَذِينِي»، قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَنْكِحِي أُسَامَةَ»، فَكَرِهْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاعْتَبَطْتُ بِهِ»^(٣).

ينبغي أن تكون النصيحة برفق وأن تكون سرا.

قال الشافعي: «من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»^(٤).

قال الشاعر:

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبي النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعه.



(١) مسند الامام أحمد، برقم ١٥٤٥٥ وصححه الالباني الصحيحة ١٨٥٥.

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨ / ٢٢٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلق ثلاثا لا نفقة لها، برقم ١٤٨٠.

(٤) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ٩ / ١٤٠.

الحديث الثامن حرمة المسلم.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ حَمِّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ.. عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»^(١).

ترجمة الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث الثالث.

مسائل وفوائد:

١. قوله «أُمِرْتُ» أي: أمرني الله تعالى؛ إذ ليس فوق رتبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يأمره إلا الله تعالى، ومن ثم لم يأت فيه الاحتمال في قول الصحابي: أمرنا، أو: نهينا؛ لأن فوقه من يمكن إضافة الأمر إليه غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نحو خليفة، ومعلم، ووالد، ورئيس، لكن لما بُعد هذا وكان الظاهر من حال الصحابي أنه لا يطلق ذلك إلا إذا كان الأمر أو الناهي هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. كان الأصح: أن له حكم المرفوع، وكأنه قال: أمرنا، أو: نهانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وحذف الفاعل هنا تعظيماً، من قولهم: أمر بكذا، ولا يذكرون الأمر تعظيماً له وتفخيماً.
٢. (أقاتل الناس) أي: عبدة الأوثان منهم دون أهل الكتاب؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله، ثم يقاتلون، ولا يُرفع عنهم السيف حتى يقرروا بالشهادتين.
٣. حتى (يقيموا الصلاة) أي: يأتوا بها على الوجه المأمور به، أو يداوموا عليها.
٤. حتى (يؤتوا الزكاة) إلى مستحقيها، ومثلها في قتال الممتنعين منها بقية شرائع الإسلام.
٥. قوله: «إلا بحق الإسلام» يعني القتل بالقصاص والزنا والقطع بالسرقة فإنها حدود واجبة بحق الإسلام، والمسلم التزامها بإسلامه فتقام عليه بمقتضى إسلامه
٦. «وحسابهم على الله» أي: أنا أحكم فيهم بهذه الأحكام أهل الكفر والإسلام ظاهراً،

(١) متفق عليه: رواه البخاري كتاب الايمان، باب: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، برقم ٢٥، ورواه مسلم، كتاب الايمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، برقم ٢٢.

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

وحسابهم فيما يتعلق بالباطن إلى الله ﷻ، فرب عاص في الظاهر يصادف عند الله ﷻ خيرا في الباطن، وبالعكس.

في الحديث بيان حرمة دم المسلم وعدم التعرض له الايقه وقد جاءت أحاديث تدل على حرمة دم المسلم ومن هذا الاحاديث:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٍ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»^(١).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا»^(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٣).



(١) رواه أبو داود (٤٢٧٠) والنسائي (٣٩٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، برقم ٦٨٦٢.

(٣) رواه الترمذي (١٣٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

الحديث التاسع

التكليف بما يستطاع

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»^(١)

ترجمة الراوي:

هو عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم ابن دوس اليمني، فهو دوسي نسبة إلى دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر وهو سنوءة ابن الأزدي، والأزد من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنسب إلى الأزدي ابن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من العرب القحطانية. الراجح عند العلماء أن اسمه في الجاهلية: عبد شمس.

فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «عبد الرحمن»، لأنه لا يجوز تسمية إنسان بأنه عبد فلان أو عبد شيء من الأشياء، اشتهر أبو هريرة بكنيته، وبها عرف حتى غلبت على اسمه فكاد ينسى.

المشهور أنه أسلم سنة سبع من الهجرة بين الحديبية وخيبر وكان عمره حينذاك نحواً من ثلاثين سنة، ثم قدم المدينة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين رجوعه من خيبر وسكن (الصفحة) ولازم الرسول ملازمة تامة، يدور معه حيثما دار، ويأكل عنده في غالب الأحيان إلى أن توفي عليه الصلاة والسلام.

كان أبو هريرة باراً بأمه، وكان من بره بها: اصطحابه لها في الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مشرقة، رجاء أن تؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد حقق الله تعالى رجاءه حيث أجاب النبي صلى الله عليه وسلم طلبه بالدعاء لأمنه فأمنت، وفرح بذلك فرحاً شديداً أبكاه كما مرّ

توفي رضي الله عنه سنة سبع وخمسين للهجرة

مسائل وفوائد

وجوب الكف عما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا النهي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: نهى تحريم. كالشرك، وقتل النفس، والربا، وشرب الخمر، والغيبة، والنميمة، وغيرها.

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيفه صلى الله عليه وسلم، برقم ١٣٣٧.

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّبَوِيَّةِ

فهذا يجب اجتنابه والابتعاد عنه
وذلك أن الشارع نهى عن تصرفات، لكن قامت الأدلة على أن هذا النهي للكرهية وليس
للتحريم.

فهذا الأفضل اجتنابه وتركه.
أن ما نهى عنه الشرع يجب اجتنابه والابتعاد عنه جملة وتفصيلاً، ولا يجوز للمكلف فعل شيء
منه.

فالرأى يجب اجتناب قليله وكثيره.
يجوز فعل المحرم للضرورة، لأن القاعدة [لا محرم مع الضرورة]، لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

ومعنى الضرورة إلى المحرم: أن لا يجد سوى هذا المحرم، وتندفع به الضرورة.
مثال: يجوز الأكل من الميتة للمضطر.

وما أمرنا به ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: واجبات، فهذا يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

كالصلاة، والزكاة، والصيام.

القسم الثاني: مستحبات، فهذه يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها.

كالسنن الرواتب، والسواك.

فالواجبات: يجب على المسلم أن يؤديها كما أمر، فإن لم يستطع فعلى قدر استطاعته ﴿لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

مثال: القيام في الصلاة الفريضة ركن، فإذا عجز عنه الإنسان فإنه يصلي جالساً.
وأما المستحبات: فالأفضل للمسلم أن يحرص عليها وأن يجتهد في الإكثار منها على حسب
استطاعته.

مثال: قيام الليل: فالأفضل أن يصلي من الليل ولو شيئاً قليلاً.

يجب طاعة الرسول والانقياد لأمره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]

من أسباب هلاك الأمم كثرة مسائلهم.

والأسئلة التي هي سبب للهلاك:

السؤال تعنتاً وعمقاً.

السؤال بما لا فائدة منه ولا حاجة له.

السؤال على وجه الاستهزاء والسخرية والعبث.

كثرة السؤال في المسائل التي لم تقع

السؤال عما أخفاه الله عن خلقه لحكمة يعلمها سبحانه، مثل السؤال عن سر القضاء والقدر،

وعن قيام الساعة.

وأما السؤال للعلم والعمل وبما يهم الإنسان فهذا مطلوب ومحمود.

قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ النحل: ٤٣

قَالَتْ عَائِشَةُ: «نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»^(١)

ولما سئل ابن عباس، كيف نلت العلم؟ قال: «بلسان سؤال، وقلب عقول، وجسم غير

ملول»^(٢).

وقال الزهري: «العلم خزانة، مفتاحها المسألة»^(٣)

Ψ Ψ Ψ

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، بابُ الحَيَاءِ فِي الْعِلْمِ، بِرَقْم ١٣٠، ١/١٣٨ رواه مسلم، كتاب الحيض، بَابُ اسْتِخْتَابِ

اسْتِعْمَالِ الْمُغْتَسِلَةِ مِنَ الْحَيْضِ فُرْصَةً مِنْ مِثْلِكِ فِي مَوْضِعِ الدَّمِ بِرَقْم ٣٣٢

(٢) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر المالكي، ١٨٥ / ٢

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ٣٧٤ / ١

الحديث العاشر

الاقتصار على الحلال الطيب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟^(١)».

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد

إثبات اسم من أسماء الله وهو الطيب، ومعناه المنزه عن العيوب والنقائص. وأن الله لا يقبل من الأعمال والأقوال والأموال إلا الطيب. في الأعمال والأقوال: قال تعالى: ﴿لِيَهِيَ صَعْدُ الْكَمْرِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [١٠] فاطر: ١٠

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّوْا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يَرِي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ أَوْ فَصِيلُهُ»^(٢)

كيف يكون العمل طيباً؟

بإخلاص العمل لله، وأكل الحلال وعدم أكل الحرام.

ذكر في الحديث مانعاً من موانع إجابة الدعاء وهو أكل الحرام فقد جاء التحذير الشديد من

أكل الحرام لقول النبي ﷺ: ”فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَّتِهَا، برقم ١٠١٥

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، برقم ١٤١٠، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَّتِهَا، برقم ٢٣٠٥

من أسباب إجابة الدعاء:

أن السفر من أسباب إجابة الدعاء، وجه هذا: أنه وردت أحاديث في أن المسافر لا تردّ دعوته ، ثم إن ذكرَ الرسول ﷺ السفر يدل على أن للسفر تأثيراً في إجابة الدعاء، ولا سيما إذا أطال السفر وبعد عن الوطن فإن قلبه يكون أشد انكساراً ولجوءاً إلى الله عزّ وجل .
أن الشعث والغبرة من أسباب إجابة الدعاء .

لكن هذا قد يرد عليه أن التورع عن المباحات بدون سبب شرعي مذموم، فيقال المراد بالحديث: أن هذا الرجل يهتم بأمور الآخرة أكثر من اهتمامه بأمور الدنيا
أن رفع اليدين في الدعاء من أسباب الإجابة .

ويكون الرفع بأن ترفع يديك تضم بعضهما إلى بعض على حذاء التُّنْدُوتَيْن أي أعلى الصدر، ودعاء الابتهاال ترفع أكثر من هذا، حتى إن النبي ﷺ في دعاء الاستسقاء رفع يديه كثيراً حتى ظن الظان أن ظهورهما نحو السماء من شدة الرفع، وكلما بالغت في الابتهاال فبالغ في الرفع .

وهنا مسألة: هل رفع اليدين مشروع في كل دعاء؟

الجواب: هذا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ورد فيه رفع اليدين .

القسم الثاني: ما ورد فيه عدم الرفع .

القسم الثالث: ما لم يرد فيه شيء .

فمثال القسم الأول: إذا دعا الخطيب باستسقاء، أو استصحاء فإنه يرفع يديه والمأمومون كذلك، لما رواه البخاري في حديث أنس رضي الله عنه في قصّة الأعرابي الذي طلب من الرسول

ﷺ في خطبة الجمعة أن يستسقي فرفع النبي ﷺ يدعو ورفع الناس أيديهم معه يدعون^(١)
ومما جاء في السنة رفع اليدين في القنوت في النوازل أو في الوتر . وكذلك رفع اليدين على الصفا وعلى المروة، وفي عرفة، وما أشبه ذلك فالأمر في هذا واضح .

الثاني: ما ورد فيه عدم الرفع كالدعاء حال خطبة الجمعة في غير الاستسقاء والاستصحاء، فلو دعا الخطيب للمؤمنين والمؤمنات أو لنصر المجاهدين في خطبة الجمعة فإنه لا يرفع يديه، ولو رفعهما لأنكر عليه، ففي صحيح مسلم عن عمارة بن رؤيبة أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه فقال: «قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد أن يقول بيده هكذا . وأشار

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (١٠١٤) ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (٨٩٧)

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

بِاصْبَعِهِ الْمَسْبُوحَةَ»، وكذلك رفع اليدين في دعاء الصلاة كالدعاء بين السجدين، والدعاء بعد التشهد الأخير، وما أشبه ذلك، هذا أيضاً أمره ظاهر.

الثالث: ما لم يرد فيه الرفع ولا عدمه: فالأصل الرفع لأنه من آداب الدعاء ومن أسباب الإجابة،

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ. (١)

لكن هناك أحوال قد يُرَجَّحُ فيها عدم الرفع وإن لم يرد كالدعاء بين الخطبتين مثلاً، فهنا لا نعلم أن الصحابة كانوا يدعون فيرفعون أيديهم بين الخطبتين، فرفع اليدين في هذه الحال محل نظر، فمن رفع على أن الأصل في الدعاء رفع اليدين فلا يُنكَّرُ عليه، ومن لم يرفع بناءً على أن هذا ظاهر عمل الصحابة فلا ينكر عليه، فالأمر في هذا إن شاء الله واسع.

إن من أسباب إجابة الدعاء التوسل إلى الله تعالى بالربوبية لقوله: «يَا رَبَّ يَا رَبَّ» ولهذا تجد أكثر الأدعية الموجودة في القرآن مصدرة ب: يارب. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴿١٦﴾﴾ البقرة: ١٢٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ آل عمران: ٣٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ آل عمران: ٣٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ آل عمران: ٣٨

Ψ Ψ Ψ

(١) رواه الترمذي، رقم ٣٥٥٦ وقال هذا حديث حسن غريب، وصححه الالباني في صحيح، ابن ماجه (٣٨٦٥)

الحديث الحادي عشر التورع عن الشبهات

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِجَالَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (دَعُ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ) ^(١)

ترجمة الراوي:

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما سبط النبي ﷺ، والسبط: هو ابن البنت، وابن الابن يسمى: حفيداً، وقد وصفه النبي ﷺ بأنه سيد فقال: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فَتَيَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ^(٢)

وكان الأمر كذلك، فإنه بعد أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبويع بالخلافة للحسن تنازل عنها معاوية رضي الله عنه، فأصلح الله بهذا التنازل بين أصحاب معاوية وأصحاب علي رضي الله عنهما، وحصل بذلك خير كثير.

وكان من الحكماء الكرماء الأسيخاء، وكان مطلقاً، يُقال: أنه أحصن أكثر من مائة امرأة!
ولد الحسن ﷺ عنه منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الأصح، ومات مسموماً من زوجته بارشاه من يزيد بن معاوية لها على ذلك على ما قيل سنة أربع، أو خمس، أو تسع وأربعين، أو خمسين، أو أحد وخمسين، أو ثمان وخمسين، ودفن بالبقيع، وقبره مشهور فيه.

مسائل وفوائد

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، واصل في الورع الذي عليه مدار اليقين

(١) أخرجه الترمذي - كتاب: صفة القيامة، باب، (٢٥١٨). والنسائي - كتاب الأشربة، باب: الحث على ترك الشبهات، (٥٧١١) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي - برقم ٣٧٧٣، وقال هذا حديث حسن صحيح. وصححه الالباني في صحيح الترمذي

للورع فضائل:

أولاً: أنه سبب لاستبراء العرض والدين قال عليه السلام: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»^(١).

ثانياً: أنه خير خصال الدين: قال عليه السلام: «وخير دينكم الورع»^(٢).

ثالثاً: من علامات العبادة عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنَعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنُ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»^(٣).

رابعاً: أنه من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وخلقته عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِتَمْرَةٍ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا»^(٤).

خامساً: أنه سبب للنجاة. عن أبي الحوراء، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَذْكَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنِّي أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلْتُهَا فِي فِي، قَالَ: فَتَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِلُعَابِهَا، فَجَعَلَهَا فِي التَّمْرِ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ التَّمْرَةِ لِهَذَا الصَّبِيِّ؟ قَالَ: «إِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ» قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: «دَعْ مَا يَرِيكَ، إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طَمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ»^(٥).

من أقوال السلف في الورع:

قال الحسن: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام»^(٦).

(١) رواه مسلم، كتاب المساقاة، بابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، برقم ١٥٩٩

(٢) المستدرک، للحاکم، برقم ٣١٤ وصححه الالباني في الروض النضير ١/ ٤٤٠

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الورع، بابُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، برقم ٤٢١٧ وصححه الالباني في الصحيحه (٥٠٦ و ٩٢٧ و ٢٠٤٦)

(٤) رواه البخاري، كتاب اللقطة، بابُ إِذَا وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، برقم ٢٤٣١

(٥) مسند الامام أحمد، برقم ١٧٢٧ وصححه الالباني في الإرواء (١٢ و ٢٠٧٤)، الظلال (١٧٩)، الروض النضير (١٥٢)

(٦) فصل الخطاب في الزهد والرفائق والآداب، محمد نصر الدين، ٥/ ٢٨

وقال عمر: «كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام»^(١)

وقال شيخ الإسلام: «الورع من قواعد الدين»^(٢)

وقال ابن المبارك: «ترك فلس من حرام أفضل من مائة ألف فلس أتصدق بها»^(٣)

أنك إذا أردت الطمأنينة والاستراحة فاترك المشكوك فيه واطرحه جانباً، والمسلم إذا حصل له شك في العبادة إذ كان في أثناء العبادة بنى على الأقل فإذا شك هل صلى أربع أم ثلاث بنى على أنها ثلاث.

أما إذا كان بعد العبادة والانهاء منها فلا ينظر للشك

أن ترك ما يرتاب فيه فيه راحة للنفس وسلامتها من القلق.

Ψ Ψ Ψ

(١) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، الدّهلوي الحنفي، ٥ / ٥٠٦

(٢) مجموع الفتاوى، ٣١٥ / ١٩

(٣) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، ص ٤٧٢

الحديث الثاني عشر ترك ما لا يعنيه المسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ حَسَّنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْينُهُ) ^(١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد:

أن من حسن وكمال إيمان الإنسان تركه ما لا يهيمه في دنياه وآخرته من أقوال أو أعمال. قال ابن رجب رحمه الله: «فمن عبد الله عن استحضار قلبه ومشاهدته بقلبه أو على استحضار قرب الله منه وإطلاعه عليه، فقد حسن إسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام، ويشغل بما يعنيه فيه، فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله، وترك كل ما يستحي منه» ^(٢) أن عدم ترك الإنسان لما لا يعنيه يدل على أن إسلامه ليس بحسن.

من أقوال السلف:

قال الغزالي: «علاج ترك ما لا يعني أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسؤول عن كل كلمة تكلم بها، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكته يقدر على أن يقتنص - أي يصطاد - بها الحور العين، فإهماله وتضييعه فيما لا يعنيه خسران مبین» ^(٣)

وقال الحسن: «من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه» ^(٤)

وقال معروف الكرخي: «كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى» ^(٥)

(١) أخرجه الترمذي - كتاب: الزهد، باب: ما جاء فيمن تكلم فيما لا يعنيه، (٢٣١٨). وابن ماجه - كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، (٣٩٧٦). والإمام أحمد - مسند آل أبي طالب عن الحسين بن علي بلفظ «إن من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه»، (١٧٣٢) وقال الترمذي حديثاً حسنًا،

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١ / ٢٨٩

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي، ٨٦٣٣، ٦ / ١١٧

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للسفاريني، ١ / ٥٤

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الاصبهاني، ٨ / ٣٦١

وقال الثوري: إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى^(١)
وقال الشافعي: «ثلاثة تزيد في العقل: مجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعني»^(٢)

التدخل في شؤون الغير له أحوال:

يكون واجباً: مثل التدخل لتغيير المنكر، ويأثم لو لم يتدخل وهو يستطيع.
يكون مستحباً: مثل التدخل لتحسين وضع أخيك في طريقة كلامه مثلاً.
ويكون مباحاً: كسؤال إنسان هل سافر أم لا.
ويكون مكروهاً: مثل سؤال رجل يتحرج في الجواب في أمر خاص به.
ويكون محرماً: مثل التجسس على المسلم.



(١) وقال الثوري: إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى، (محمد نصر الدين محمد عويضة، ٢٨ / ٥)
(٢) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، للسفيري الشافعي، ١ / ٣٨٤

الحديث الثالث عشر كمال الإيمان

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ^(١) جَاءَ فِي رِوَايَةٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - وَقَالَ: لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» ^(٢) جَاءَ فِي رِوَايَةٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ فِي «الْإِيمَانِ» بِلَفْظٍ: «حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الْخَيْرِ» ^(٣) وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» وَقَالَ: «مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ» ^(٤)

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك الأنصاري الحزرجي النجاري خادم رسول الله ﷺ أتت به أمه أم سليم إلى النبي ﷺ؛ أي؛ في السنة الأولى من الهجرة، فقالت له: خذ غلاماً يخدمك، فقبله، وقد قالت له يوماً: يا رسول الله؛ ادع الله تعالى له، فقال: «اللهم؛ أكثر ماله وولده، وبارك له فيه، وأدخله الجنة» قال: فلقد رزقت من صليبي سوى ولد ولدي مئة وخمسة وعشرين - أي ذكوراً، ولم يرزق إلا بنتين على ما قيل وإن أرضي لثمير في السنة مرتين، وأنا أرجو الثالثة ^(٥)

وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، وإنما لم يُعَدَّ في البدرين؛ لأنه لم يكن في سنٍّ من يُقاتل، وغزا مع النبي ﷺ ثمان غزوات، واستمر في خدمته صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي وهو عنه راضٍ، فاستمر بالمدينة، وشهد الفتوح، ثم قطن بالبصرة، وكان آخر الصحابة بها موتاً سنة تسعين، أو أحدٍ أو ثلاثٍ وتسعين، عن مئة سنة إلا سنة، أو وستة، أو وسبع سنين، أو وعشرين سنة

(١) أخرجه البخاري - كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (١٣). ومسلم - كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، (٤٥)، (٧١)
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير برقم ٤٥

(٣) النسائي روى اللفظ الذي بعده، أمّا هذا اللفظ فقد رواه: المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٥٨٨ رقم ٦٢١)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٤٢ رقم ٢٩٧) وصححه الألباني في الصحيحة ٧٣:

(٤) رواه: النسائي (٨/ ١١٥ رقم ٥٠١٧)، وأحمد (٢٠/ ٣٩٤ رقم ١٣١٤٦)، وابن منده (١/ ٤٤١ رقم ٢٩٤)، وأبو يعلى (٥/ ٤٠٧ رقم ٣٠٨١، ٣١٥١)، وأبو عوانة في «صحيحه» (١/ ٤١ رقم ٩٢)، والقضاعي في «الشهاب» (٢/ ٦٣ رقم ٨٨٨) وهي زيادةٌ صحيحة. انظر «السلسلة الصحيحة» (١/ ١١٣ رقم ٧٣).

(٥) انظر «الإصابة» (١/ ٨٤)

الإيمان في اللغة هو: التصديق

شرعاً: الإقرار المستلزم للقبول والإذعان والإيمان

محل الإيمان: القلب واللسان والجوارح، فالإيمان يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح، أي أن قول اللسان يسمى إيماناً، وعمل الجوارح يسمى إيماناً، والدليل: قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءٍ وَفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤٣) البقرة: ١٤٣ قال المفسرون: إيمانكم: أي صلاتكم إلى بيت المقدس، وقال النبي ﷺ: «الإيمان بضغ وسبعون شعبةً فأعلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(١)

أعلاها قول: لا إله إلا الله، هذا قول اللسان. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق وهذا فعل الجوارح، والحياء عمل القلب. وأما القول بأن الإيمان محلّه القلب فقط وجوب محبة المرء لأخيه ما يجب لنفسه، لأن نفي الإيمان عن من لا يجب لأخيه ما يجب لنفسه يدل على وجوب ذلك، إذ لا ينفي الإيمان إلا لفوات واجب فيه أو وجود ما ينافيه

«لا يؤمن» المقصود لا يؤمن الإيمان التام»

أَنَّ مِنْ جُمَلَةِ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبَةِ أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءُ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، فَإِذَا زَالَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَقَدْ نَقَصَ إِيْمَانُهُ بِذَلِكَ رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ دُخُولَ الْجَنَّةِ عَلَى هَذِهِ الْخُصْلَةِ؛ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحِبُّ الْجَنَّةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَحِبِّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»^(٢)

ذم الأناية والحسد والكراهية.

الترغيب في محبة المسلمين بعضهم بعضاً وائتلافهم، لأن ذلك يؤدي إلى التعاضد والتناصر.

يجب على المؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعهده بالرعاية والعناية فيما يصلحه والحذر مما يفسده ويضعفه



(١) - أخرجه مسلم - كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، (٣٥)، (٥٨)

(٢) رواه أحمد، برقم ١٦٧٠٦ وقال شعيب الارنوؤط حديث حسن

الحديث الرابع عشر حرمة دم المسلم وأسباب إهداره

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١).

ترجمة الراوي:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمَخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس، الهذلي المكي، صاحب سر رسول الله ﷺ، وأحد أئمة الصحابة رضوان الله عليهم الذين رووا علماً كثيراً عن رسول الله ﷺ.

قال: لقد رأيتني سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا^(٢) وهاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، وأُحُدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد، وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ، كان يلبسه إياها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له.

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أذنك على أن ترفع الحجاب، وتسمع سوادى حتى أمهك»^(٣) والسواد بكسر السين: السرار، وكان يعرف بصاحب السواد، والسواك، والنعل.

قال رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ على القرآن»، فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك وأنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** ﴿٤١﴾ النساء: ٤١، قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(٤)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ،

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الديات، بابُ قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾، برقم ٦٨٧٨، ورواه مسلم، كتاب القسامة والمحارِبين، بابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ، برقم ١٦٧٦.
(٢) رواه الحاكم في المستدرِك، برقم ٥٣٦٣ وقال صحيح الإسناد، ولم يُجَرِّجَاهُ. وصححه الالباني في صحيح ابن حبان برقم ٧٠٦٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده، برقم ٣٦٨٤، وصححه الالباني في الصحيحة (١٤٢٧).

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، برقم ٨٠٠

وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيهَا أَنْزَلْتُ، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»^(١)

نزل الكوفة في آخر أمره، وتوفي بها سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: عاد إلى المدينة، واتفقوا على أنه توفي وهو ابن بضع وستين سنة، والذين قالوا: توفي بالمدينة، قالوا: دُفن بالبيق، قيل: وصلى عليه عثمان، وقيل: الزبير، وقيل: عمار ابن ياسر. وكان من كبار الصحابة، وساداتهم، وفقهائهم، ومقدميهم في القرآن، والفقه، والفتوى، وأصحاب الخلق، وأصحاب الاتباع في العلم.

مسائل وفوائد:

تحريم قتل المسلم بغير حق، وقد جاءت نصوص كثيرة في تحريم ذلك.

أولاً: لعنه الله وغضب عليه وله عذاب أليم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذِبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١٣) النساء: ٩٣

ثانياً: القتل من الموبقات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(٢)

ثالثاً: أن من قتل نفساً بغير حق فكأنها قتل جميع الناس

قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٣٢) المائدة: ٣٢

رابعاً: هو أعظم ذنب بعد الشرك.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ» قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ ذَلِكَ لِعَظِيمٍ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَافَةً أَنْ

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود، برقم ٢٤٦٣

(٢) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} [النساء: ١٠]

يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَرَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١)

خامساً: أن قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَتْلُ مُؤْمِنٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ

زَوَالِ الدُّنْيَا»^(٢)

يقتل المسلم في إحدى هذه الأمور الثلاثة:

أولاً: الزاني المتزوج بنكاح صحيح.

وطريقة قتله: الرجم حتى الموت كما ثبت بذلك الأحاديث الكثيرة.

فقد رجم النبي ﷺ الغامدية لما زنت. ورجم ماعز لما اعترف بالزنا.

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَاعْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ

فَارْجُمِهَا»^(٣)

ثانياً: قتل العمد.

فقد أجمع المسلمون على أن من قتل مسلماً عمداً استحق القتل.

لقوله تعالى: ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَانَ بِاللِّسَانِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤٥) المائدة: ٤٥

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٧٩) البقرة: ١٧٩

ويقتل قاتل العمد سواء كان القاتل أو المقتول ذكراً أم أنثى.

يسقط القصاص إذا عفا أولياء المقتول.

يستثنى من القصاص:

أولاً: الوالد إذا قتل ولده، فإنه لا يقتل به عند جمهور العلماء.

كاللوطي على قول بعض العلماء - والساحر - وتارك الصلاة على قول بعض العلماء.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢]

(٢) برقم ٤٤٧٧، رواه مسلم، كتاب الايمان، باب كَوْنِ الشَّرْكِ أَفْحَاحَ الذُّنُوبِ، وَبَيَانَ أَكْبَرِهَا بَعْدَهُ، برقم ١٤١

(٣) رواه النسائي، برقم ٣٩٩٧، وصححه الالباني في سنن النسائي وفي صحيح الترمذي (١٤٢٧)

(٤) رواه البخاري، كتاب الوكالة، باب الْوَكَالَةِ فِي الْحُدُودِ، برقم ٢٣١٤، رواه مسلم، كتاب الحدود، باب مَنْ

اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزَّنى برقم ١٦٩٧

الفرائد الذهبية

تحريم هذه الأشياء الثلاثة، وهي: الزنا - والقتل - والردة.
أن قتل القاتل والزاني بعد إحصانه والمرتد فيه مصالح عامة، من حفظ النفوس والأنساب والأديان.
أن من أتى بالشهادتين وأتى بما تقتضيانه وابتعد عما يناقضهما فهو المسلم، محرّم الدم والمال والعرض، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.
لا بد في صحة إسلام المرء من النطق بالشهادتين.
قوله: (الثيب الزاني) دليل على أن البكر ليس حده الرجم، فقد جاء النص أن حده الجلد والتغريب

الحديث الخامس عشر آداب إسلامية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(١)

ترجمة الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد:

أن الكلام الصادر من الإنسان ينقسم إلى أقسام:

الأول: أن يكون خيراً، فإنه يقوله بعد تفكير وتأمل.

الثاني: أن يكون شراً، فإنه لا يقوله.

الثالث: أن يكون مباحاً، فالصمت أفضل، لأنه قد يجير الكلام المباح إلى حرام

من علامات الإيثار بالله واليوم الآخر أن يقول خيراً أو ليسكت.

ينبغي على العبد مراقبة لسانه، فإنه كما قال صلى الله عليه وسلم: (... وهل يكب الناس على مناخرهم في النار

إلا حصائد ألسنتهم)^(٢)

عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ”رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ، أَوْ

سَكَتَ عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ”^(٣)

الحث على إكرام الجار.

(١) رواه البخاري، كتاب الادب، باب: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، برقم ٦٠١٨ ورواه مسلم، كتاب الايمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الايمان، برقم ٤٧

(٢) رواه ابوداود، برقم ٥٦١، وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب

(٣) صحيح الجامع: ٣٤٩٦ وصححه الالباني في الصحيحة برقم ٨٥٥.

قال العلماء: الجيران ثلاثة:

الأول: جار قريب مسلم، فهذا له حق الجوار والقربة والإسلام.

الثاني: جار مسلم غير قريب، فهذا له حق الجوار والإسلام.

الثالث: جار كافر، فهذا له حق الجوار، وإن كان قريباً فله حق القربة أيضاً.

أثار وفضائل حسن الجوار.

أولاً: الوصية بالإحسان إليه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ

سَيُورِثُهُ»^(١)

ثانياً: أن حسن الجوار يطول في العمر.

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ، وَصَلَّةَ الرَّحْمِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَحُسْنَ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»^(٢)

ثالثاً: الجار الصالح من السعادة.

عن نافع بن عبد الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ؛ الْجَارُ الصَّالِحُ،

وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ»^(٣)

رابعاً: الأمر بتعاهد الجيران بالطعام.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ

جِيرَانِكَ»^(٤)

(١) رواه مسلم، كتاب البر، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، برقم ٢٦٢٥

(٢) رواه الامام أحمد في مسنده، برقم ٢٥٢٥٩، وصححه الالباني في الصحيحة ٥١٩

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده برقم ١٥٣٧٢،

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والاداب، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، برقم 2625

آثار إيذاء الجار:

أولاً: أن إيذاء الجار ليس من الإيمان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ»^(١)

ثانياً: أن عدم إيذاء الجار من الإيمان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٢)

ثالثاً: أن أذى الجار سبب في دخول النار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهُا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ فَلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدِّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقْطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»^(٣)

الحث على إكرام الضيف.

وقد اختلف العلماء في حكم الضيافة:

القول الأول: أنها واجبة.

وبه قال الليث مطلقاً.

قال النووي: «واحتج بحديث عن المقدام أبي كريمة الشامي قال: قال النبي ﷺ: «لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ دَيْنٌ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ، فَإِنْ شَاءَ افْتَضَاهُ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ»^(٤)

(١) رواه مسلم، كتاب الايمان، بابُ بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيْذَاءِ الْجَارِ، برقم ٤٦

(٢) رواه البخاري، كتاب الادب، باب: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، برقم ٦٠١٨

(٣) رواه أحمد في مسنده برقم ٩٦٧٦ وصححه الالباني في الصحيحة برقم ٩٦٧٦ وفي صحيح الترغيب والترهيب

٢٥٦٠

(٤) رواه البخاري في الادب المفرد، برقم ٧٤٤ وصححه الالباني في الادب المفرد

القول الثاني

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّكَ تَبْعُنَا، فَتَنْزِلُ بِقَوْمٍ لَا يَقْرُونَا، فَمَا تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَنَا: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ»^(١)

القول الثاني: واجب في حق أهل البوادي دون القرى. قال ابن حجر: «وخصه أحمد بأهل البوادي دون القرى».

قال: «ولأن المسافر يجد في الحضر المنازل في الفنادق ومواضع النزول».

القول الثالث: أنها سنة مؤكدة غير واجبة.

قال النووي: «وهو قول عامة الفقهاء».

وقال ابن حجر: «وقال الجمهور الضيافة سنة مؤكدة».

وأجاب الجمهور عن حديث عقبة حمله على المضطرين. أن ذلك كان في أول الإسلام إذ كانت المواصلة واجبة. ورجح هذا النووي. أن هذا خاص بالعمال المبعوثين لمقتضى الصدقات من جهة الإمام.

أن هذا خاص بأهل الذمة.

والراجح أنها واجبة، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم: (فليكرم...).

وجوب الضيافة مقيد بيوم وليلة عن أبي شريح العدوي أنه قال: أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَسَمِعْتُهُ أُذْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَكْتُ»^(٢)



(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، بابُ قِصَاصِ الْمَظْلُومِ إِذَا وَجَدَ مَالَ ظَلَمِهِ، برقم ٢٤٦١

(٢) رواه الترمذي برقم ١٩٦٧ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الالباني في صحيح، ابن ماجه (٣٦٧٥)

الحديث السادس عشر

النهي عن الغضب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ (١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد

حرص الصحابة على ماينفع، لقوله: «أوصيني»، والصحابة إذا علموا الحق لا يقتصرون على مجرد العلم، بل يعملون، وكثير من الناس اليوم يسألون عن الحكم فيعلمونه ولكن لا يعملون به، أما الصحابة رضي الله عنهم فإنهم إذا سألوا عن الدواء استعملوا الدواء، فعملوا..

أن المخاطب يخاطب بما تقتضيه حاله وهذه قاعدة مهمة، فإذا قرنا هذا لا يرد علينا الإشكال الآتي وهو أن يقال: لماذا لم يوصه بتقوى الله، كما قال الله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١]. فالجواب: أن كل إنسان يخاطب بما تقتضيه حاله، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم عرف من هذا الرجل أنه غضوب فأوصاه بذلك.

دواء الغضب:

الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

عن عدي بن ثابت، قال: سمعتُ سليمان بن صرد، رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: استبَّ رجلاًن عند النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب أحدهما، فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم كلمة، لو قالها لذهب عنه الذي يجد» فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «تعوذ بالله من الشيطان» فقال: أتري بي بأس، أمجنون أنا، أذهب (٢).

(١) رواه البخاري كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، (٦١١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الادب، باب ما ينهي من السباب واللعن، برقم ٦٠٤٨.

تغيير الهيئة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ» ^(١)

الوضوء

عَنْ عَطِيَّةَ - وَقَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» ^(٢)

السكوت.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "علموا، ويسرّوا ولا تعسروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت" ^(٣)

معرفة فضل من كتم غيظه.

قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ ثَمَرٌ لَّهُمْ﴾ آل عمران: ١٣٤
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» ^(٤) عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، يَكْظُمُهَا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى» ^(٥)

ويتذكر أن من كتم غضبه فله الجنة.

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ» ^(٦).

الغضب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: مذموم، وهو الغضب الديني الذي حذرنا منه النبي ﷺ كما في حديث الباب.

- (١) رواه أبو داود، كتاب الادب، باب مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ، برقم ٤٧٨٢ وصححه الالباني في صحيح ابي داود،
- (٢) رواه أبو داود، كتاب الادب، باب مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ، برقم ٤٧٨٤
- (٣) رواه الامام أحمد في مسنده برقم ٣٤٤٨ وصححه الالباني في صحيح الادب المفرد برقم ٩٩٦
- (٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ، برقم ٢٦٠٩
- (٥) رواه الامام أحمد في مسنده، برقم ٦١١٤،
- (٦) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم ٢٧٤٨، وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٧٤٩.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

القسم الثاني: وهو محمود، ما كان لله وللحق.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَا لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمًا مِنْ لَعْنَةٍ تُذَكَّرُ، وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا يُؤْتَى إِلَيْهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا ضَرْبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.»^(١)
قال الشيخ السعدي: «قوله: لا تغضب يتضمن أمرين:

أحدهما: الأمر بفعل الأسباب والتمرن على حسن الخلق والحلم والصبر.

الثاني: الأمر - بعد الغضب - أن لا ينفذ غضبه، فإن الغضب غالباً لا يتمكن الإنسان من دفعه ورده، ولكنه يتمكن من عدم تنفيذه.»

نماذج من كتم الغيظ وعدم الغضب:

عن عَبْدِ الرَّزَّاقِ، قَالَ: جَعَلْتُ جَارِيَةً لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ تَسْكُبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ، فَتَهَيَّأُ لِلصَّلَاةِ فَسَقَطَ الْأَبْرِيُّ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَأْسَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فَقَالَ لَهَا: «قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي»، قَالَتْ: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، فَقَالَ لَهَا: «قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ»، قَالَتْ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قَالَ: «أَذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ»^(٢)

- وحكي أن الفضيل بن عياض كان إذا قيل له: إن فلاناً يقع في عرضك، يقول: والله لأغيظن من أمره، يعني: إبليس، ثم يقول: اللهم إن كان صادقاً فاغفر لي، وإن كان كاذباً فاغفر له^(٣)



(١) رواه الامام أحمد، برقم ٢٤٩٨٥ ووراه الحاكم في المستدرک برقم ٤٢٨٢، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان، برقم ١٠، ٧٩٦٤ / ٥٤٥.

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٣٦٨).

الحديث السابع عشر الأمر بإحسان الذبح والقتل

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّثْكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ ذَيْبِحَتَهُ»^(١)

ترجمة الراوي:

شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، يكنى أبا يعلى، نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقيل: بل توفي شداد [بن أوس سنة إحدى وأربعين. وقيل: بل توفي سنة أربع وستين. قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم. روى

شداد بن أوس عنه أهل الشام. روى القاسم عن ابن أشرس عن مالك قال: قال أبو الدرداء: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُؤْتِي الرَّجُلَ الْعِلْمَ وَلَا يُؤْتِيهِ الْحِلْمَ، وَيُؤْتِيهِ الْحِلْمَ وَلَا يُؤْتِيهِ الْعِلْمَ، وَإِنَّ أبا يَعْلَى شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ مِمَّنْ آتَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ.^(٢)

مسائل وفوائد:

رأفة الله ﷻ بالعباد، وأنه كتب الإحسان على كل شيء. ويدخل في ذلك الإحسان إلى شخص تدله الطريق، وكذا إطعام الطعام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذكره النبي ﷺ من القتل والذبح مجرد أمثلة

الأمر بالإحسان قد يكون واجباً: كالأحسان إلى الوالدين والأرحام. وقد يكون مستحباً: كصدقة التطوع.

الإحسان هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي إلى ذلك.

ذكر النبي ﷺ مثلاً للإحسان:

(١) رواه مسلم، كتاب الصيد والذباح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، برقم ١٩٥٥.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٢ / ٦٩٥.

أولاً: الإحسان بالقتل

فإذا قتلت شيئاً يباح قتله فأحسن القتلة، فلو أن شخصاً آذاه كلب من الكلاب وأراد أن يقتله، فهناك طرق لقتله، لكن عليه أن يختار أسهلها وأيسرها كالصعق الكهربائي.

أيضاً من استحققت القتل، قتل بضرب عنقه بالسيف من دون تمثيل

ثانياً: الإحسان بالذبيح:

وذلك بأن نذبحها على الوجه المشروع ومن ذلك:

حد الشفرة لأن ذلك أسهل للذبيحة. فلا يجوز أن يذبحها بألة كالة [أي ليست بجيدة].

ولا يجد الشفرة أمام الذبيحة، لأن النبي ﷺ أمر أن تحذ الشفار، وأن توارى عن البهائم.

وجوب إراحة الذبيحة.

من أجل أنواع الإحسان: الإحسان إلى من أساء إليك بقول أو فعل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

فضائل الإحسان:

أولاً: أن من أحسن إلى الناس أحسن الله إليه.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ثانياً: لهم في الدنيا حسنة.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠].

ثالثاً: رحمة الله قريبة من المحسنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

رابعاً: لهم الجنة ونعيمها.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

خامساً: تبشير المحسنين.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

سادساً: أن الله معهم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

سابعاً: إن الله يحب المحسنين.

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ثامناً: إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

تاسعاً: الإحسان سبب في دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ كَأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦].

عاشراً: الكافر إذا رأى العذاب تمنى أن لو أحسن في الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:

٥٨].

في الحديث الحث على الرحمة والشفقة بالحيوان.

عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها أو قال إني

لأرحم الشاة إن أذبحها فقال والشاة إن رحمتها رحمتها رحمتك الله^(١)

النهى عن المثلة بالإنسان بعد قتله.

حسن التعامل مع المخلوقات.

وجوب حد الشفرة، لأن ذلك أسهل للذبيحة، ومعنى إحدائها: أن يمسحها بشيء يجعلها

حادة، فإن ذبح بشفرة كالة أي ليست بجيدة ولكن قطع ما يجب قطعه فالذبيحة حلال لكنه آثم

حيث لم يحد الشفرة.

وهل يحد الشفرة أمام الذبيحة؟

الجواب: لا يحد الشفرة أمامها لأن النبي ﷺ أمر أن تحد الشفار، وأن توارى عن البهائم، أي

تغطي



(١) رواه أحمد في مسنده، برقم ١٥٦٣٠ وصححه الألباني في الصحيحة ١ / ٦٥.

الحديث الثامن عشر حسن الخلق

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١)

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: المشهور أن اسمه: جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن عفان. أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قيل: كان خامس خمسة في الإسلام.

ثم إنه رد إلى بلاد قومه فأقام بها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، فلما أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه ولازمه وجاهد معه. وكان يفتي في خلافة أبي بكر عمر وعثمان، قيل: كان آدم [يعني: أسمر اللون]، ضخماً، جسيماً، كث اللحية. وكان رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل، قولاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر^(٢).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: «كان أبو ذر زاهداً، وكان يقرّع عمال عثمان، ويتلو عليهم: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها في سبيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم «انتهى»^(٣).

وقال ابن كثير رضي الله عنه:

«هُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ وَقَوْمِهِ، فَكَانَ هُنَاكَ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَدِينَةِ، فَهَاجَرَ بَعْدَ الْخُنْدُقِ، ثُمَّ لَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَضْرًا وَسَفَرًا، وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً»^(٤).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه، ويعتني بأمره، ويرشده إلى ما يصلحه:

(١) رواه الترمذي، أبواب البر، باب ما جاء في معاشرته الناس، برقم ١٩٨٧ وحسنه الالباني في صحيح الترمذي و المشكاة (٥٠٨٣)، الروض النضير (٨٥٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٣٦٧٣٦٨).

(٣) «العواصم من القواصم» محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ص ٧٣).

(٤) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٢٥٦).

الْقَوْلُ بِالْبَهِيمَةِ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»^(١).

وَبَلَغَ رضي الله عنه فِي الصَّدَقِ نَهَايَتَهُ، فَكَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ لِسَانًا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»^(٢).

قَالَ السَّنْدِيُّ رضي الله عنه: «الْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ بَلَغَ فِي الصَّدَقِ نَهَايَتَهُ وَالْمَرْتَبَةُ الْأَعْلَى»^(٣).

وَكَانَ رضي الله عنه مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ مُتَابِعَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ: سَأَلْتُ ابْنَ أُخْتِ لَأَبِي ذَرٍّ: مَا تَرَكَ أَبُو ذَرٍّ؟ قَالَ: تَرَكَ أَتَانَيْنِ وَحِمَارًا وَأَعْزْرًا وَرَكَابًا^(٤).

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رضي الله عنه: «أَمَّا زُهْدُهُ وَعِبَادَتُهُ: فَقَدْ ذَهَبَ فِيهَا مَثَلًا»^(٥)

عَنْ عَلِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: «وَعَى عَلِمًا، شَحِيحًا حَرِيصًا؛ شَحِيحًا عَلَى دِينِهِ، حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ، وَكَانَ يُكَثِّرُ السُّؤَالَ، فَيُعْطَى وَيُمْنَعُ، أَمَا أَنْ قَدْ مَلِئْتُ لَهُ فِي وَعَائِهِ حَتَّى امْتَلَأْتُ»^(٦)

كَانَ شَدِيدَ الْخُوفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ مَا انْبَسَطْتُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، وَلَا تَقَارَرْتُمْ عَلَى فُرْشِكُمْ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَنِي يَوْمَ خَلَقَنِي شَجْرَةً تُعْضِدُ وَيُؤْكَلُ ثَمْرُهَا»^(٧)

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ رضي الله عنه: «كَانَ رَأْسًا فِي الزُّهْدِ وَالصَّدَقِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَوْلًا بِالْحَقِّ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ»^(٨)

مَاتَ رضي الله عنه، بِالرَّبِذَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُ مَسْعُودٍ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ بَيْسِيرًا، وَمَنَاقِبُهُ

وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ جَدًّا رضي الله عنه

(١) رواه مسلم، كتاب الامارة، بَابُ كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بَعْدَ ضُرُورَةٍ، بِرَقْمِ ١٨٢٦.

(٢) رواه ابن ماجه بِرَقْمِ ١٥٥ وَصَحَّحَهُ الْإِبْرَانِيُّ فِي الْمَشْكَاتِ (٦٢٢٩ - ٦٢٣٠)، تَحْرِيجُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ (١٤٧)، الصَّحِيحَةُ (٢٣٤٣).

(٣) حَاشِيَةُ السَّنْدِيِّ عَلَى سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ (٦٨ / ١).

(٤) «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (٣ / ٣٧٤).

(٥) الْاسْتِذْكَارُ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (٤ / ٤٠٩).

(٦) «الْمَخْتَارَةُ» الضَّيَاءُ (٢ / ١٢٣).

(٧) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنَفِ» (٧ / ١٢٣) وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (١ / ١٦٤):

(٨) «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (٣ / ٣٧٤).

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

معاذ بن جبل: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري، المكنى بأبي عبد الرحمن، شارك مع الرسول ﷺ في عدة غزوات ومنها غزوة بدر، وقد اعتنق الإسلام في الثامنة عشر من عمره، ويعتبر عالماً من علماء المسلمين، وإماماً فقيهاً. [١] أرسله رسول الله ﷺ قاضياً إلى جند اليمن، وأولاه مسؤولية تعليم المسلمين أحكام الدين الإسلامي، والقرآن الكريم وقراءته، والقضاء بين المسلمين.

ولد الصحابي الجليل معاذ بن جبل في عام ستائة وسبع ميلادية في يثرب، ودخل الإسلام وهو شاب، فحسن إسلامه، ورافق رسول الله ﷺ، حيث وصفه ﷺ في قوله: (وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل). وعُرف بحبه العميق لرسول الله ﷺ، وأشار إليه الرسول في حديثه (استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حنيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل)

اتصف الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ بصفات حميدة منها: الزهد، والورع، وكثرة التَّعبُد، والاجتهاد في العلم، والكرم، والموعظة، وحسن الكلام، واللطف، وجاء ذلك عن قول ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه حتى أدان ديناً أغلق ماله

وفاة معاذ بن جبل استخلف الخليفة أبو عبيدة عامر بن الجراح الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ عندما أصيب بالطاعون، وأصيب الأخير بمرض طاعون عمواس الذي انتشر في تلك الفترة، وقد انتقل إلى جوار ربّه في بلاد الشام، وكان ذلك في السنة الثامنة عشرة للهجرة، عن عمر يُناهز الثانية وثلاثين عاماً، ومنهم من قال اثنين وثلاثين عاماً^(١).

مسائل وفوائد:

وجوب تقوى الله ﷻ لقوله: اتق الله.
والتقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أو امره واجتناب نواهيه.
وقال علي: وقد سئل عن التقوى فقال: «هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».
وقال بعضهم: تقوى الله تعالى ألا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.
وجوب تقوى الله في السر والعلن لقوله: اتق الله حيثما كنت، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه.

(١) سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٣٧٨)

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «أَسْأَلُكَ خَشِيَّتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»^(١).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث مهلكات! شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وثلاث منجيات: خشية الله من السر والعلائية والقصد في الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضا والغضب^(٢).

وقال الشافعي: «أعز ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف».

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب.
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ.

قال ابن رجب رحمه الله: «وفي الجملة، فتقوى الله في السر هو علامة كمال الإيمان، وله تأثير عظيم في إلقاء الله لصاحبه الثناء في قلوب المؤمنين»^(٣).

فضائل وثمرات التقوى:

أولاً: أنها سبب لتيسير الأمور.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

ثانياً: أنها سبب لإكرام الله.

قال تعالى: ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثالثاً: العاقبة لأهل التقوى.

قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

رابعاً: أنها سبب في دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].

خامساً: أنها سبب لتكفير السيئات.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

(١) رواه الامام أحمد في مسنده، برقم ١٨٣٢٥، وصححه الالباني في «صفة الصلاة» «الكلم الطيب».

(٢) السلسلة الصحيحة، برقم ٣٠٣٥.

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١ / ٤١٠

سادساً: أنها سبب لحصول البشرى لهم.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [٦٣ - ٦٤].
الأخرى ﴿ [يونس: ٦٣ - ٦٤].

سابعاً: أنها سبب للفوز والهداية.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].
ثامناً: أنها سبب للنجاة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴾ [مريم: ٧٢].
تاسعاً: أنها سبب لفتح البركات من السماء والأرض.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

عاشراً: أنها سبب للخروج من المأزق.

قال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣].

الحادي عشر: أنها سبب لمحبة الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

أن الحسنات يذهبن السيئات لقوله: وأتبع السيئة الحسنة تمحها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الأسباب العشر التي تندفع بها عقوبة السيئات فقال:

«والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب: أن يتوب فيتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له - أو يستغفر فيغفر له - أو يعمل حسنة تمحوها فإن الحسنات يذهبن السيئات - أو يدعوه لإخوانه المؤمنون ويستغفرون له حياً وميتاً - أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به - أو يشفع فيه نبيه محمد عليه الصلاة والسلام - أو يبتليه الله تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه - أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه - أو يبتليه في عرصات القيامة

من أهوالها بما يكفر عنه، أو يرحمه أرحم الراحمين، فمن أخطأته هذه العشر فلا يلو من إلا نفسه»^(١).
الحث على مخالفة الناس بخلق حسن.

قال ابن رجب رحمه الله: «هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده... إلى أن قال: والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً، ولا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصدّيقين»^(٢).

فضائل حسن الخلق:

أولاً: أنه من أسباب دخول الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخَلُ مِنَ النَّاسِ النَّارَ الْأَجْوَفَانَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَجْوَفَانِ؟ قَالَ: «الْفَرْجُ وَالْفَمُّ»، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَكْثَرَ مَا يُدْخَلُ الْجَنَّةَ؟ تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخَلْقِ»^(٣).

ثانياً: أنه أثقل شيء في الميزان.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنِ»^(٤).

ثالثاً: أن حسن الخلق من كمال الإيمان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٥).

رابعاً: يدرك المؤمن بحسن خلقه درجة الصائم القائم.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»^(٦).

خامساً: بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.

(١) مجموع الفتاوي، لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠ / ٤٥.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ١ / ٤٥٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده، برقم ٩٦٩٦ وحسنه الالباني في الصحيحة ٢ / ٦٦٩.

(٤) رواه أحمد في مسنده، برقم ٢٧٥١٨، وصحجه الالباني في صحيح الترمذي (٢٠٨٧).

(٥) رواه أبو داود برقم ٤٦٨٢، وقال الالباني في - «الصحيحة» (٢٨٤) - (حسن صحيح).

(٦) رواه أحمد في مسنده، برقم ٢٤٥٩٥، وصححه الالباني صحيح، المشكاة (٥٠٨٢).

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة" ^(١)

زعيم: ضامن.

سابعاً: أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الخلق الحسن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً" ^(٢)
ثامناً: جعله من خصال التقوى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٣) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤

قال الحسن: «حسن الخلق: الكرم، والبذلة، والاحتمال» ^(٣)

وقال ابن المبارك: «هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى» ^(٤)

وسئل سلام بن أبي مطيع عن حسن الخلق فأشدد شعراً فقال:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله.

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله.

هو البحر من أي النواحي أتيتته فلجته المعروف والجود ساحله

Ψ Ψ Ψ

(١) رواه أبو داود، كتاب الادب، باب في حسن الخلق، برقم ٤٨٠٠، وحسنه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٦٤٨.

(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٦٨٢ وصححه الالباني في الصحيحة برقم ٧٩١.

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٦ / ١٢١.

(٤) سنن الترمذي، برقم ٢٠٠٥.

الحديث التاسع عشر

احفظ الله يحفظك

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١)

وفي رواية غير الترمذي (احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)^(٢)

راوي الحديث:

هو: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، ابن عم رسول الله ﷺ.
كنيته: أبو العباس، وهو أكبر أولاده.
أمه: هي أم الفضل لبابة الكبرى، بنت الحارث الهلالية، وهي أخت ميمونة بنت الحارث، زوجة النبي ﷺ^(٣)

مولد عبدالله بن عباس:

ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين؛ أي: في العام العاشر من بعثة نبينا ﷺ^(٤)

صفات ابن عباس الخلقية:

كان عبدالله بن عباس أبيض، طويلاً، مشرباً صفرة، جسيماً، وسيماً، صبيح الوجه، له وفرة، يخضب بالحناء.

(١) رواه الترمذي، برقم ٢٥١٦، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصحح الالباني في لمشكاة (٥٣٠٢)، ظلل الخنة (٣١٦ - ٣١٨).

(٢) الحاكم في المستدرک علی الصحیحین - ج ٣ / ص ٦٢٤، كتاب معرفة الصحابة، (٦٣٠٤) وقال عنه الذهبي في التلخيص: ليس بمعتمد.

(٣) (أسد الغابة؛ لابن الأثير، ج ٣، ص ١٨٥).

(٤) سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ج ٣، ص ٣٣٢.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوِيَّةِ

قال ابن جريج: كنا جلوسًا مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس، فقال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس؛ قال عكرمة: كان ابن عباس إذا مرَّ في الطريق، قالت النساء في البيوت: أمرَّ بائعُ المسك، أم مرَّ ابن عباس؟^(١)

إسلام ابن عباس:

أسلم عبدالله بن عباس قبل أبيه، وهاجر مع أبيه إلى المدينة عام فتح مكة؛ أي: في العام الثامن من الهجرة^(٢)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا وأمِّي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمِّي من النساء^(٣)

أولاد عبدالله بن عباس:

رزق الله تعالى ابن عباس بسبعة أولاد: من الذكور خمسة وهم: العباس (الابن الأكبر)، وعلي (جد الخلفاء العباسيين)، والفضل، ومحمد، وعبيد الله، ومن الإناث: اثنتان، وهن: لبابة وأسماء^(٤) أصيب ابن عباس بالعمى في أواخر حياته، ومات عام ثمان وستين من الهجرة، وكان عمره إحدى وسبعين عامًا، وصلى عليه محمد ابن الحنفية^(٥)

مسائل وفوائد:

احفظ الله: أي احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه. وذلك بامتنال الأوامر واجتناب النواهي

يحفظك: حفظ الله للعبد في دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وحفظه أيضًا في إيمانه ودينه.

تجده تجاهك: أي من حفظ حدود الله وجد الله معه ينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده.

حسن تعليم النبي ﷺ وتربيته.

(١) سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ج ٣، ص ٣٣٣.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلى عليه، وهل يُعرض على الصبي الإسلام برقم: ١٣٥٧

(٤) سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، ج ٣، ص ٣٣٣

(٥) أسد الغابة؛ لابن الأثير، ج ٣، ص ١٨٩، صفة الصفة؛ لابن الجوزي، ج ١، ص ٧٥٧.

أمثلة لحفظ الله لمن حفظه:

- كان العبد الصالح أبو الطيب الطبري رحمه الله، قد جاوز المائة، وهو متمتع بعقله وقوته وكافة حواسه، حتى أنه سافر ذات مرة مع رفقة له، فلما اقتربت السفينة من الشاطئ وثب منها إلى الأرض وثبة شديدة، عجز عنها بقية الذين كانوا معه على السفينة، فاستغرب بعضهم هذه القوة الجسدية التي منحها الله إياه مع كبر سنه وشيخوخته، فقال لهم الطبري: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر^(١).

- قال محمد بن المنكدر: «إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها، والدويرات التي حولها، فما يزالون في حفظ الله وستر»^(٢).

- قال عروة بن الزبير: «بلغت أسماء بنت أبي بكر مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل»^(٣).

- قال ابن رجب: «ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى، كما جرى لسفينة مولى النبي ﷺ حيث كسر به المركب وخرج إلى جزيرة فرأى الأسد، فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق، فلما أوقفه عليها جعل يهيم كأنه يودعه ثم رجع عنه»^(٤).

- كان العبد الصالح إبراهيم بن أدهم نائماً ذات مرة في بستان، فجاءته حية في فمها نرجس، فما زالت تذب عنه الحيات التي تريد به سوءاً وتدافع عنه، حتى استيقظ من نومه.

من أقوال السلف:^(٥)

قال مسروق بن الأجدع: «من راقب الله في خطرات قلبه، عصمه الله في حركات جوارحه». وقال سعيد بن المسيب لابنه: «لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية: وكان أبوهما صالحاً».

وقال بعض السلف: «من حفظ الله فقد حفظ نفسه».

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١ / ٤٦.

(٢) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين السفيري الشافعي ٢ / ٢٠٧.

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، ١ / ٢٩٥.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١ / ٤٩.

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١ / ٤٦٧.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاحِي

أن من لم يحفظ الله لم يحفظه الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

من أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله:

أولاً: الصلاة.

قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ثانياً: الطهارة.

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن من أفضل

أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»^(١).

ثالثاً: الأيمان.

قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

رابعاً: حفظ الرأس والبطن.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْأَسْتَحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلِيَّ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^(٢).

خامساً: حفظ الفرج.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَادَ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا

يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

أنجزاء من جنس العمل، فمن حفظ الله حفظه الله، وهذه قاعدة شرعية جاءت نصوص

كثيرة تدل عليها

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرُوا لَنَنْصُرَهُمْ وَنَبِيَّتِ أَقْدَامُكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

(١) رواه ابن ماجه، أبواب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء، برقم ٢٧٧ وصححه الالباني المشكاة (٢٩٢)، الإرواء (٤١٢)، الروض النضير (١٧٧ و ١٧٨)، صحيح الترغيب والترهيب (١٩٢)، المساجلة العلمية (١٧).

(٢) رواه الترمذي، برقم ٢٤٥٨، وحسنه الالباني في الروض النضير (٦٠١)، المشكاة (١٦٠٨ / التحقيق الثاني).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

أن من حفظ الله كان الله معه، يحفظه وينصره

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

عن عبادة بن الصامت لابنه: يَا بَنِي، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٣).

ويتفرع على هذه الفائدة:

عدم جزع الإنسان واطمئنان قلبه، لأن كل شيء مكتوب ومقدر.

أنه لن يصيب العبد إلا ما كتب له، فلن يستطيع أحد أن ينفعه بشيء لم يكتب له، ولا يستطيع أحد أن يضره بشيء لم يكتب له.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلْ أَلَمْؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢].

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الحدود، باب السُّرِّ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَدَفْعِ الْحُدُودِ بِالشُّبُهَاتِ، برقم ٢٥٤٤، وصححه الالباني في الصحيحة (٢٣٤١).

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى ﷺ، برقم ٢٦٥٣.

(٣) رواه ابوداود، كتاب السنة، باب فِي الْقَدْرِ، برقم ٤٧٠٠، وصححه الالباني، في الطحاوية (٢٣٢) // (٢٧١) // المشكاة (٩٤).

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً

من عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة

واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً

فنبهه على أن الإنسان في الدنيا ولا سيما الصالحون معرضون للمصائب لقوله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ الزمر: ١٠

(واعلم أن النصر مع الصبر)

البشارة العظيمة بأن تفريغ الكربات وإزالة الشدائد مقرون بالكرب، فكلما كرب الإنسان فرج الله عنه.

ويشهد لهذا: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ الشورى: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَانٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ يوسف: ١١٠.

وقوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ البقرة: ٢١٤

قال ابن رجب رحمه الله: "وكم قص سبحانه من قصص تفريغ كربات أنبيائه عند تناهي الكرب، كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليم، وإغراق عدوهم" (١)

انه إذا عسر الأمر فلينتظر المسلم وليستبشر بقدم اليسر.

ويشهد لهذا:

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ الطلاق: ٧

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ الشرح: ٥ - ٦

وللصبر فضائل عظيمة:

أولاً: معية الله للصابرين.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ البقرة: ١٥٣
ثانياً: محبة الله لهم.

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيضُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ءَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ آل عمران: ١٤٦

ثالثاً: إطلاق البشري لهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ البقرة: ١٥٥

رابعاً: إيجاب الجزاء على أحسن أعمالهم.

قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَفْءَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ النحل: ٩٦

خامساً: ضمان المدد والنصرة لهم.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ آل عمران: ١٢٥

سادساً: استحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم.

قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١١٢﴾﴾ الإنسان: ١٢.

وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ الرعد: ٢٤

سابعاً: حفظهم من كيد الأعداء.

قال تعالى: ﴿إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّهْمُ سَوَّهْمٍ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٤٠﴾﴾ آل عمران: ١٢٠

ثامناً: الحصول على درجة الإمامة في الدين.

قال ابن تيمية: «بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين»^(١) ثم تلا هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ السجدة: ٢٤

(١) المستدرک علی مجموع فتاوی شیخ الإسلام، لابن تیمیة، ج ابن قاسم، ١/ ١٤٥

الحديث العشرون

الحياء من الإيمان

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقَيْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) ^(١)

ترجمة الراوي:

هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود البدرى وهو مشهور بكنيته لم يشهد بدرًا وإنما سكن بدرًا. وشهد العقبة الثانية وكان أحدث من شهدها سنًا قاله ابن إسحاق. وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد

مات أبو مسعود سنة إحدى أو اثنتين وأربعين. قيل: مات أيام علي رضي الله عنهما. وقيل: بل كانت وفاته بالمدينة في خلافة معاوية، وكان قد نزل الكوفة وسكنها ^(٢)

مسائل وفوائد:

اتفاق النبوات على فعل الخير.
فضل التخلق بأخلاق الأنبياء.
الحث على الحياء، وأن كله خير

فضائل الحياء

أولاً: أنه من علامات الإيمان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الْإِيْمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ» ^(٣)
عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعْطُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعَهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيْمَانِ» ^(٤)

ثانياً: الحياء أسمى زينة.

(١) رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، برقم (٦١٢٠)

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ٣/ ١٠٧٥

(٣) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الايمان، بابُ أُمُورِ الْإِيْمَانِ، برقم ٩، ورواه مسلم، كتاب الايمان، باب شعب الايمان، برقم ٣٥

(٤) رواه البخاري، كتاب الايمان، بابُ الْحَيَاءِ مِنَ الْإِيْمَانِ، ٣٥

الْقَوْلُ الرَّابِعُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ»^(١)

ثالثاً: الحياء من صفات الرب.

عَنْ يَعْلَى رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَّازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمَنْبِرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِّيٌّ سِتِّيٌّ، يَجِبُ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ»^(٢)

رابعاً: الحياء خلق يجهبه الله. (للحديث السابق.)

خامساً: الحياء خلق الإسلام.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنْ خُلِقَ الْإِسْلَامُ الْحَيَاءَ»^(٣)

من أقوال السلف في الحياء:

قال الفضيل: «خمس من علامات الشقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل»^(٤)

قال سليمان: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ هَلَاكِنَا نَزَعَ مِنَ الْحَيَاءِ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيئًا مَمْقُوتًا»^(٥)
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «إِنِّي لَأَغْتَسِلُ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلَمِ فَأَخْنِي ظَهْرِي إِذَا أَخَذْتُ تَوْبِي حَيَاءً مِنْ رَبِّي»^(٦)

الحياء نوعان من جهة:

الأول: فيما يتعلق بحق الله عز وجل.

الثاني: فيما يتعلق بحق المخلوق.

(١) رواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب الحلم، برقم ٤١٨٥ وصححه الالباني في التعليق الرغيب (٣ / ٢٥٥)، المشكاة (٤٨٥٤ / التحقيق الثاني) وصحيح الجامع: ٥٦٥٥، وصحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٣٥

(٢) رواه أبو داود، باب النهي عن التعري، برقم ٤٠١٢ وصححه الالباني في صحيح في المشكاة ٤٤٧٦، الإرواء ٢٣٣٥.

(٣) رواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب الحلم، برقم ٤١٨٥ وصححه الالباني في الصحيحة (٩٤٠)، الروض النضير (٤١)

(٤) شعب الايمان، للبيهقي، باب الحياء، برقم ٧٣٥٤

(٥) الفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيتمي، ص ٣٨٣

(٦) مصنف ابن ابي شيبة، برقم ١١٢٨،

أما الحياء فيما يتعلق بحق الله عزّ وجل فيجب أن تستحي من الله عزّ وجل أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك.

وأما الحياء من المخلوق فأن تكفّ عن كل ما يخالف المروءة والأخلاق.

الحياء نوعان من جهة

نوع غريزي طبيعي، ونوع آخر مكتسب.

النوع الأول: فإن بعض الناس يبهه الله عزّ وجل حياءً، فتجده حياءً من حين الصغر، لا يتكلم إلا عند الضرورة، ولا يفعل شيئاً إلا عند الضرورة، لأنه حيي.

النوع الثاني: مكتسب يتمرن عليه الإنسان، بمعنى أن يكون الإنسان غير حيي ويكون فرهاً باللسان، وفرهاً بالأفعال بالجوارح، فيصحب أناساً أهل حياء وخير فيكتسب منهم، والأول أفضل وهو الحياء الغريزي

قال ابن القيم رحمه الله: ^(١)

”وقد قسّم الحياء على عشرة أوجه:

حياء الجناية: ومنه حياء آدم لما فرهاً من الجنة.

وحياء التقصير: كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك.

وحياء الإجلال: وهو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه.

وحياء الكرم: كحياء النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب وطلولوا الجلوس عنده، فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا.

وحياء الحشمة: كحياء علي بن أبي طالب أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي لمكان ابنته منه.

حياء الاستحغار واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه حين يسأله حوائجه، احتقاراً لشأن نفسه.»

هناك بعض الأمور يكون الحياء فيها مذموماً، وهي:

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١ / ٤٥

قالت عائشة: (نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)^(١)

وقال مجاهد: « لا ينال العلم مستحي ولا مستكبر »^(٢)

ثانياً: عدم قول الحق والجهر به.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ، فَبِمَ يُشَبِّهَهَا وَلَدَهَا»^(٣)

قال ابن حجر: «ولا يقال رب حياء يمنع من الحق، أو فعل الحق، لأن ذلك ليس شرعياً»^(٤)

قال ابن رجب رحمه الله: «إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله أو حقوق عباده فليس هو من الحياء فإنها هو ضعف وخور وعجز ومهانة»^(٥)

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب استنجاب استعمال المغتسل من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، برقم ٣٣٢

(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح العثيمين، برقم ٣٥٩ / ٥

(٣) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، برقم ٣١٣

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد القسطلاني، برقم ٦١١٧

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب / ١ / ٥٠٢

الحديث الحادي والعشرين قل آمنت بالله ثم استقم

عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَقَيْلٍ، أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؟ قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْتُ»^(١)

ترجمة الراوي:

سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف، الثقفي الطائفي. كذا نسبه أبو أحمد العسكري.

له صحبة ورواية، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الطائف، استعمله عليه إذ عزل عثمان بن أبي العاص عنها، ونقل عثمان إلى البحرين

مسائل وفوائد:

حرص الصحابة رضي الله عنهم على العلم، وذلك لما يرد على النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهم من الأسئلة. أن من قصر في الواجبات فما استقام، بل حصل عنده انحراف، والانحراف تكون شدته بقدر ما ترك من الواجبات أو فعل من المحرمات..

أنه ينبغي للإنسان أن يتفقد نفسه دائماً: هل هو مستقيم أو غير مستقيم؟ فإن كان مستقيماً حمد الله وأثنى عليه وسأل الله الثبات، وإن كان غير مستقيم وجب عليه الاستقامة وأن يعدل سيره إلى الله عز وجل.

فمن أضر الصلاة عن وقتها فهو غير مستقيم، لأنه أضر الصلاة. ومن منع الزكاة فهو غير مستقيم لأنه أضر الزكاة. ورجل يعتدي على الناس في أعراضهم فغير مستقيم، لفعل المحرم. ورجل يغش الناس ويخدعهم في البيع والشراء والإجارة والتأجير وغير ذلك فهذا غير مستقيم.

فالاستقامة وصف عام شامل لجميع الأعمال

فضائل الاستقامة بعد الإيمان:

(١) رواه مسلم كتاب: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام، (٣٨): (٦٢)

أولاً: تنزل عليهم الملائكة وتبشرهم بالجنة وعدم الخوف.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فصلت: ٣٠.
قوله (تنزل عليهم الملائكة)

قيل: عند الاحتضار، وقيل: يوم خروجهم من قبورهم، وقيل: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث، واختار هذا القول ابن كثير وقال: «وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً»^(١)

ثانياً: الاستقامة سبب لبسط الرزق.

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ عَلَىٰ الصَّرْفِ مِنِّي وَأَسْقِمْنَ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ الجن: ١٦

قال القرطبي: «أي لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق»^(٢)
ثالثاً: أن الله أمر نبيه بالاستقامة.

قال تعالى: ﴿فَأَسْقِمَ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ هود:

١١٢

وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا تَلَاهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا فَارْزُقْنَا الْإِسْتِقَامَةَ»^(٣)

لا يلزم من الاستقامة عدم الوقوع بشيء من المعاصي فقد قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ فصلت: ٦

قال ابن رجب: «^(٤) فيه إشارة إلى أنه لا بد من التقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك الاستغفار المقضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة، فهو كما قال النبي ﷺ - لمعاذ (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها)، وقد أخبر النبي ﷺ أن الناس لن يستطيعوا الاستقامة حق الاستقامة، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَدُّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قالوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٨٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٧/١٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٥/ ٣٥٨

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ص ٦٥

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوِيَّةِ

يَتَعَمَدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنَّ قَلَّ^(١) فالسداد هو حقيقة الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد،

والمقاربة أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه، ولكن بشرط أن يكون مصمماً على قصد السداد وإصابة الغرض، فتكون مقاربتة عن عمد.»

وأعظم ما ينبغي مراعاته في الاستقامة استقامة القلب، فهو ملك الأعضاء وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه.

وكذلك مما ينبغي مراعاة استقامته بعد القلب اللسان، فإنه ترجمان القلب.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ قَالَ ﷺ: ” إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا ”^(٢)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ” لَا يَسْتَقِيمُ إِيَّانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ ”^(٣)

أسباب الاستقامة:

أولاً: دعاء الله بالثبات.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ تَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَمَّا بَكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ نَخَفُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»^(٤)

ثانياً: قراءة القرآن وتدبره.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۗ ﴾^(٣٢) الفرقان: ٣٢

أن من استقام في هذه الدار على الهداية، وفقه الله تعالى للهداية يوم القيامة.

قال ابن القيم رحمه الله:

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الرقاق، بابُ الْقَصْدِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، برقم ٦٤٦٣، ورواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُهُ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى برقم ٢٨١٨

(٢) رواه الترمذي، بابُ مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ، برقم ٢٤٠٧، وحسنه الالباني في المشكاة (٤٨٣٨)

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده برقم ١٣٠٤٧ وحسنه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٥٥٤

(٤) رواه الامام أحمد في مسنده، برقم ١٢١٠٧، ورواه الترمذي برقم ٣٥٢٢، وهذا حديث حسن. وصححه الالباني في الصحيحة، برقم ٢٠٩١ وفي المشكاة ١٠٢، السنة ٢٢٥.

”فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هدي هناك إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط“^(١).

أنه لا خوف ولا حزن على المستقيم.

ثالثاً: الحث على مجالسة ومصاحبة أهل الاستقامة.

رابعاً: المداومة على العمل الصالح وأن ذلك من أسباب الاستقامة.

أفضل العمل ما داوم عليه صاحبه.

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَدُّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٢)
وهذا كان هدي النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبته.

قالت عائشة (كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته)^(٣).

قال النووي «وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة»^(٤)

آثار المداومة على العمل الصالح:

أولاً: دوام اتصال القلب بخالقه مما يعطيه قوة وثباتاً واستقامة

ثانياً: تعهد النفس عن الغفلة وترويضها على لزوم الخيرات حتى تسهل عليها.

ثالثاً: أن المداومة على العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ فِي الشَّدَايدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»^(٥)

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١/ ٣٣

(٢) رواه الامام أحمد في مسنده، برقم ٢٦٣٤٢ وصحه الالباني، في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣١٧٤

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ، برقم ٧٤٦

(٤) شرح مسلم، للنووي، ١/ ٥٤٠

(٥) رواه الترمذي، باب مَا جَاءَ أَنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ، برقم ٣٣٨٢

الحديث الثاني والعشرون

الاقتصار على الفرائض يدخل الجنة.

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً، أدخل الجنة؟ قال: «نعم»^(١)

ترجمة الراوي:

هو أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري السلمى، وأمه هي نسيبة بنت عقبة بن عدي.

ولد سنة (١٦) قبل الهجرة، وشهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، قال جابر: (لم أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعي أبي، فلما قُتل يوم أحد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط). وهو من أشهر الرواة، فقد روى (١٥٤٠) حديثًا.

أصيب بالعمى في آخر عمره، وتوفي سنة (٧٨هـ)، وقيل (٧٧هـ)، وصلى عليه أبان بن عثمان، وكان أمير المدينة، وكان عمره (٩٤) سنة، وهو آخر من مات بالمدينة، ممن شهد العقبة

مسائل وفوائد:

أن الرجل قيل هو النعمان بن قوقل الخزاعي، وقيل غيره.

السؤال عن العلم سبب من أسباب تحصيله

الحرص على السؤال عن كل شيء يؤدي إلى الجنة.

أن من أدى الواجبات وترك المحرمات فإن ذلك سبب لدخول الجنة. وقد جاءت أحاديث كثيرة بهذا المعنى عن طلحة بن عبيد الله، أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟ فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً»، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً»، فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام، قال:

(١) راه أحمد في مسنده برقم ١٤٧٤٦

الْقَوْلُ إِذَا لَمْ يَسْمَعْهُ

وَالَّذِي أكرمَكَ، لَا أَنْطَوِّعُ شَيْئًا، وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ»^(١)

أن فعل الواجب وترك المحرم وقاية من النار

لم يذكر النبي ﷺ في هذا الحديث الزكاة ولا الحج؟

لم يذكر الزكاة، لعل النبي ﷺ علم من حاله أنه فقير ولا يستطيع عليها. وأما الحج، فلعله لم

يفرض بعد.

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ، برقم ١٨٩١

الحديث الثالث والعشرون الإسراع فيه الخير

عن أبي مالك - الحارث بن عاصم - الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ - ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(١).

ترجمة الراوي:

الحارث بن عاصم الأشعري صحابي جليل اختلف في اسمه، والأشعري نسبة إلى قبيلة باليمن يقال لهم: الأشعريون، والصحيح أنه غير أبي موسى الأشعري المشهور؛ لأن ذلك معروف بكنيته، وهذا معروف باسمه، مات بالطاعون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثمان عشرة^(٢).

مسائل وفوائد:

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام والدين. الحمد لله: الثناء على الله مع المحبة والتعظيم.

سبحان الله: التسييح تنزيهه الله عن النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقين

فضل كلمة [الحمد لله] حيث أنها تملأ الميزان. وقد اختلف في معنى [تملأ الميزان]

ف قيل: أنه ضرب مثل، وأن المعنى لو كان الحمد جسماً ملأ الميزان.

وقيل: بل الله عز وجل يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صوراً ترى يوم القيامة وتوزن.

فضل قول: سبحان الله والحمد لله حيث أنها تملآن ما بين السماء والأرض.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ” كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ،

حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ”^(٣).

(١) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، (١٨)

(٢) معجم الصحابة للبعوي (٢/ ٧١ رقم ٤٥٩)

(٣) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسييح، برقم ٦٤٠٦، ورواه مسلم، كتاب الذكر

الْقَوْلُ بِالْبَهْمِيَّةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (١)

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَيَّ اللَّهُ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّنَ بَدَأْتَ» (٢)

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامُ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنْهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٣)

إثبات الميزان

أولاً: تعريفه: هو ميزان حقيقي له كفتان.

ثانياً: أدلة ثبوته:

قال تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٤٧) ﴿الأنبياء: ٤٧﴾

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) ﴿المؤمنون: ١٠٢﴾

وحديث الباب (.. تملأ الميزان ..) والحديث السابق (كلمتان ثقيلتان في الميزان ...)

ثالثاً: ما الذي يوزن؟

وردت نصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل: كحديث الباب (والحمد لله تملأ الميزان).

وحديث (كلمتان ثقيلتان في الميزان ..).

ووردت نصوص تدل على أن الذي يوزن هو العامل.

عَنْ أُمِّ مُوسَى قَالَتْ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَنْ يَصْعَدَ شَجْرَةً فَيَأْتِيَهُ مِنْهَا بَشْيٌءٌ، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَضْحَكُونَ؟ لَرَجُلٍ عَبْدِ اللَّهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» (٤)

وَالدُّعَاءُ وَالتَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، برقم ٢٦٩٤

(١) رواه مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، برقم ٢٦٩٥

(٢) رواه مسلم، كتاب الاداب، بَابُ كَرَاهَةِ التَّسْمِيَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ وَبِنَافِعِ وَنَحْوِهِ، برقم ٢١٣٧

(٣) رواه الترمذي، برقم ٣٤٦٢ وقال هذا حديث حسن غريب، وحسنه الالباني في الصحيحة ١٠٥، التعليق

الرجيب (٢ / ٢٤٥ و ٢٥٦)، الكلم الطيب (١٥ / ٦)

(٤) رواه البخاري، بَابُ الْخُرُوجِ إِلَى الضُّيْعَةِ، برقم ٢٣٧ وصححه الالباني في الادب المفرد

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ، أَقْرَأُوا فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا»^(١)

وورد أن الذي يوزن هي الصحائف:

عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو، يقول: قال رسول الله ﷺ: ”يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمت كتبتي الحافظون؟ [فيقول: لا، يا رب] ثم يقول: ألك عذر، ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات. فيقول: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة“^(٢)

والراجح أن الذي يوزن العمل، وقد يوزن معه الصحف أو العامل.

رابعاً: هل هو ميزان واحد أم متعدد؟

وردت نصوص تدل على أنه متعدد:

كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسَطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٤٧) ﴿الأنبياء: ٤٧﴾

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٠٢) ﴿المؤمنون: ١٠٢﴾

ووردت نصوص بالإنفراد:

كقوله ﷺ (كلمتان ثقيلتان في الميزان).

والراجح أنه ميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون.

خامساً: قال القرطبي قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن

للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديره

ليكون الجزاء بحسبها^(٣)

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥] الآية برقم ٤٧٢٩، ورواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم ٢٧٨٥

(٢) رواه الترمذي، أبواب الايمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم ٢٦٣٩، وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وصححه الالباني في صحيح، ابن ماجه (٤٣٠٠)

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ٤/ ٨.

فضل الصلاة وأنها نور.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:

[٤٥].

فهي نور في الدنيا كما قال تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهي نور يوم القيامة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ: ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ. يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأَبِي بَنٍ خَلْفٌ»^(١)

أن الصدقة دليل وبرهان على صحة إيمان صاحبها، والسبب في ذلك أن المال محبوب للنفس، فإذا أنفقت منه فهذا دليل على صحة إيمانها بالله وتصديقها بوعده ووعيده.

والصدقة فضائل كثيرة منها:

أولاً: أنها برهان على صحة الإيمان.

كما في حديث الباب.

ثانياً: أنها تطهير للنفس.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ثالثاً: أنها مضاعفة للحسنات.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

رابعاً: أنها تغفر الذنوب.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطْبَ وَالصَّدَقَةُ تَطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَالصَّلَاةُ نُورٌ الْمُؤْمِنِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ»^(٢).

خامساً: درجة الجنة لا تنال إلا بالإنفاق.

(١) رواه الامام أحمد، برقم ٦٥٧٧ وصححه الالباني في المشكاة برقم ٥٧٨.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم ٢١٢ وصححه الالباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، برقم ٤١٣، ٢/١٣٨.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ نَبْوِيَّةً

قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

سادساً: أنها أمان من الخوف يوم الفزع الأكبر.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

سابعاً: صاحب الصدقة موعود بالأجر الكبير.

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

ثامناً: أن الله يخلف الصدقة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

تاسعاً: أن الصدقة تزيد المال.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ، وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا، وَلَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: «رَجُلٌ أَوْ أَحَدٌ إِلَّا رَفَعَهُ»^(١).

عاشراً: أنها تظلل صاحبها يوم القيامة.

عن عقبه بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يَفْصَلَ

بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ حَتَّىٰ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ»^(٢).

فضل الصبر.

قال ابن رجب: «ولما كان الصبر شاقاً على النفوس، يحتاج إلى مجاهدة النفس، وحبسها وكفها

عما تمواه، كان ضياءً، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر»^(٣).

والصبر ثلاثة أنواع:

صبر على الطاعات - وصبر عن معاصي الله - وصبر على أقدار الله المؤلمة.

والصبر على الطاعات وعن المحرمات أفضل من الصبر على الأقدار المؤلمة.

أن القرآن إما أن يكون حجة للإنسان أو حجة عليه.

يكون حجة للإنسان: إذا اتبع أوامره وانتهى عند نواهيه وعمل به وأقام حدوده.

(١) مسند الامام أحمد، برقم ٧٢٠٦، وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٨٥٨.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، برقم ٧٧٥١.

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٢٥.

ويكون حجة على الإنسان: إذا ترك أمره ووقع في نواهيه وأعرض عنه.
قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾
[الإسراء: ٨٢].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ”القرآن شافع ومشفع، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار“^(١)

التحذير من الإعراض عن القرآن

أن كل إنسان إما ساع في هلاك نفسه أو فكاكها.

فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله، وأعتقها من عذابه، ومن سعى في معصية الله فقد باع نفسه بالهوان وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه.

قال الحسن: «المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبتة، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله»^(٢)
وقال: «ابن آدم! إنك تغدو وتروح في طلب الأرباح، فليكن همك نفسك، فإنك لن تريح مثلها أبداً»^(٣)

وقال أبو بكر بن عياش: «قال لي رجل مرة وأنا شاب: خلّص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً، قال: فوالله ما نسيتها بعد»^(٤)
وكان بعض السلف يبكي ويقول: «ليس لي نفسان، إنها لي نفس واحدة، إذا ذهبت لم أجد أخرى».

مجاهدة النفس على العمل الصالح.

التحذير من الأعمال السيئة

(١) مصنف عبدالرزاق، برقم ٦٠١٠

(٢) جامع العلوم والحكم، ٣٠ / ١

(٣) المرجع السابق / ١ / ٣٠

(٤) المرجع السابق / ١ / ٣٠

الحديث الرابع والعشرون

تحريم الظلم

عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَلَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ فَاثْمُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(١)

ترجمة الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث الثامن عشر

مسائل وفوائد:

عظيم رحمة الله بعباده ورفقه بهم حيث ناداهم بهذا اللفظ [يا عبادي] المشعر بالرحمة والرفق والحث

أن لفظ (يا عبادي) فيه تذكير للعباد بالحكمة التي من أجلها خلقوا وهي عبادة الله قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦.

تحريم الظلم على الله، مع قدرته سبحانه وتعالى عليه قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وإنما قلنا مع قدرته عليه، لأنه لو كان ممنوعاً على الله لم يكن ذلك مدحاً ولا ثناءً إذ لا يشئ على الفاعل إلا

(١) رواه مسلم كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (٢٥٧٧)، (٥٥)

إذا كان يمكنه أن يفعل أو لا يفعل»^(١). أن الله لا يظلم لكمال عدله، وهكذا كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت ضده كقوله تعالى { ولا يظلم ربك أحداً } لكمال عدله

جاءت نصوص كثيرة تبين أن الله حرم على نفسه الظلم:

قال تعالى: ﴿ مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ق: ٢٩

قال تعالى: ﴿ مِثْلَ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ غافر: ٣١ .

قال تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ١٠٨

وقال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤].

يجب على المسلم أن ينزه الله عن الظلم.

تحريم الظلم بين الناس لقوله (فلا تظالموا).

والظلم ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: ظلم أكبر وهو الشرك.

قال تعالى عن لقمان: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ ۖ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ إِنْ أَشْرَكَ إِتَىٰ الشِّرْكَ لَظْمًا عَظِيمًا ﴾ [لقمان: ١٣].

القسم الثاني: ظلم العبد نفسه بالمعاصي.

القسم الثالث: ظلم العباد بعضهم بعضاً.

وهذا القسم هو المقصود بالحدِيث لقوله (فلا تظالموا).

وقد جاءت نصوص كثيرة تبين تحريم الظلم:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)

عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٣).

أن الإنسان ضال إلا من هداه الله.

يجب سؤال الله الهداية، وقد أمرنا الله أن نسأله إياها في أعظم سورة.

قال تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦.

(١) شرح الأربعين، لابن عثيمين، ص ٢٣٨.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والاداب، باب تحريم الظلم، برقم ٢٥٧٩

(٣) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، برقم ٢٤٥٣ ورواه

مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، برقم ١٦١٢

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ التَّوْبَةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَاةَ وَالْغِنَى»^(١).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: سألت عائشة أم المؤمنين، بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٢).

قال ابن القيم: «فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر»^(٣).

يجب على المسلم أن يعمل بأسباب الهداية وأن يحرص عليها.

قال ابن القيم: «ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يده حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم»^(٤).

الحذر من الأسباب التي تعيق الإنسان عن الهداية.

قال ابن القيم: «ولينظر إلى الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط، فإنها

الكلايب التي بجنتي ذاك الصراط، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه»^(٥).

إثبات غنى الله سبحانه وتعالى.

أن ابن آدم كثير الخطأ.

كما قال تعالى: ﴿وَمَحَلَّهَا لِلْإِنْسَانِ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(٦).

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، برقم ٢٧٢١

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، برقم ٧٧٠

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ١ / ٣٣

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ١ / ٤٧

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ١ / ٣٣

(٦) رواه الترمذي، برقم ٢٤٩٩، وحسنه الالباني في صحيح ابن ماجه (٤٢٥١) وصحيح الترمذي

وفي حديث الباب (.. إنكم تخطئون بالليل والنهار..).

كرم الله وإحسانه حيث دعا عباده _ مع ظلمهم بالمعاصي والذنوب _ إلى عفوه وغفرانه.

فقال تعالى: ﴿يَتَىٰ عِبَادِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

وقال سبحانه ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وجوب الاستغفار من الذنوب كلها.

لقوله (فاستغفروني أغفر لكم).

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنِّي لَأَنذَرْتُكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦].

وقال سبحانه ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

عن أبي هريرة: ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(١)

والاستغفار يكون على وجهين:

الوجه الأول: طلب المغفرة بلفظ: اللهم اغفر لي، أو أستغفر الله.

الوجه الثاني: طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً لذلك

كحال سلطان الله وغناه عن خلقه لقوله عز وجل (إنكم لن تبلغوا ضري... ولن تبلغوا نفعي)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله «وذلك لكمال سلطانه عز وجل وكمال غناه، فكأنه تعالى

قال: إنما طلبت منكم الاستغفار من الذنوب لا لحاجتي لذلك ولا لتضري بمعاصيكم ولكن

المصلحة لكم»^(٢).

قال ابن رجب رحمه الله: «يعني أن العباد لا يقدر أن يوصلوا إلى الله نفعاً ولا ضراً، فإن الله

تعالى في نفسه غني حميد، لا حاجة له بطاعات العباد، ولا يعود نفعها إليه، وإنما هم ينتفعون بها،

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، برقم ٦٣٠٧

(٢) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، ص ٢٤٩.

فِي شَرْحِ الْأَنْعَامِ وَالنَّوْمِ

ولا يتضرر بمعاصيهم وإنما هم يتضررون بها»^(١)

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

والمعنى أنه تعالى يجب من عباده أن يتقوه ويطيعوه كما أنه يكره منهم أن يعصوه، ولهذا يفرح بتوبة التائبين أشد من فرح من ضلت راحلته التي عليها طعامه وشرابه بفلاة من الأرض، وطلبها حتى أعمى وأيس منها، واستسلم للموت، وأيس من الحياة، ثم غلبته عينه فنام، واستيقظ وهي قائمة عنده، وهذا أعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح، هذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوباتهم إليه، وإنه إنما يعود نفعها إليهم دونه، ولكن هذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده، ومحبه لنفعهم ودفع الضر عنهم.

أن ملك الله لا يزيد بطاعة الخلق، ولو كانوا كلهم بررة أتقيا قلوبهم على أتقى رجل منهم، ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين، ولو كان الجن والإنس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على أفجر رجل منهم.

كمال ملك الله وكمال قدرته، وأن ملكه وخزائنه لا تنفذ بالعباءة، ولو أعطى الأولين والآخريين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ»^(٢)

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

أن الله يحصي أعمال العباد ويضبطها، فلا يظلم عنده أحد.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٤٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: ٧]، برقم ٤٦٨٤،

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

وقال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) الكهف: ٤٩.

وجوب حمد الله على من وجد خيراً، لأن الله يسرها عليه، ثم أثابه عليها.

التحذير ممن تخلف عن العمل الصالح.

أن الجن مكلفون.

أهمية القلب، لأن الأصل في التقوى والفجور القلوب.

طلب الرزق من الله الذي في السماء.

أن الاستغفار من أسباب المغفرة.

حفظ الله للأعمال.

الجزاء من جنس العمل.

محاسبة النفس على التفريط

الحديث الخامس والعشرون ذهب أهل الدثور بالأجور

عن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة». قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(١)

ترجمة الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث الثامن عشر

مسائل وفوائد:

رغبة الصحابة رضي الله عنهم الشديدة في الخير، وتنافسهم بالأعمال الصالحة، ففي هذا الحديث أن الفقراء جاءوا إلى النبي ﷺ وبينوا له أن إخوانهم الأغنياء قد سبقوهم ببعض الأعمال الصالحة، وذلك أن عندهم فضل من مال، فيحجون ويعتمرون ويتصدقون ويجاهدون، وهم لا يستطيعون ذلك، فما السبيل للحاق بهم؟ وهذا هو التنافس الشريف.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ المطففين: ٢٦ .

وقال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ الصافات: ٦١

قال ابن القيم: «..... كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه، بل يحض بعضهم بعضاً، وهي نوع من المسابقة، وقد قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١١﴾ الحديد: ٢١»^(٢)

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، برقم ١٠٠٦

(٢) الروح، لابن القيم، ١ / ٣٤٤

الحزن على ما فات من الأعمال الصالحة، وهذا كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم.

أمثلة تدل على ذلك:

ما جاء في حديث الباب: حيث كان الفقراء يجزون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم

الحزن على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة على آله.

كما قال تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ التوبة: ٩٢. {

التأسف على فعل الطاعة.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جَنَازَةً وَلَمْ يَتَّبِعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانٌ»، قيل: وَمَا الْقِيرَاطَانُ؟ قَالَ: «أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «لَقَدْ ضَيَعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً»^(١)

ينبغي على المسلم المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحات.

كما قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»^(٢).

الحث على علو الهمة.

عن جابر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سُفْسَافَهَا»^(٣).
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ، لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»^(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنائز، وأتباعها، برقم ٩٤٥.

(٢) رواه البخاري في الادب المفرد برقم ٤٧٩ وصححه الالباني في الصحيحة برقم ١٤٢٤.

(٣) رواه الطبراني في معارج الاخلاق، برقم ١٢٠.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب الفرعة في المشكلات، برقم ٢٦٨٩، ورواه مسلم، كتاب

فِي شَيْخِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ»^(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى»^(٢).

عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَبِيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٣)

استدل بحديث الباب من قال إن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، وهذه مسألة اختلف فيها العلماء على قولين:

القول الأول: أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر.

حديث الباب حيث قال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

القول الثاني: الفقير الصابر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ»^(٤)

ولقوله ﷺ (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء)^(٥)

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية أن من كان تقياً فهو أفضل سعة فضل الله ورحمته حيث جعل أبواب الخير كثيرة.

فضل الصدقة بالمال.

أن العمل الصالح صدقة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»^(٦)

الصلاة، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، بِرَقْمِ ٤٣٧.

(١) رواه ابن حبان، ذَكَرَ اسْتِحْبَابَ الْإِكْتَارِ فِي السُّؤَالِ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي دُعَائِهِ، بِرَقْمِ ٨٨٩ وَصَحَّحَهُ الْإِلْبَانِيُّ، الصَّحِيحَةُ ١٢٦٦.

(٢) رواه البخاري، فِي الْمَغَازِي بَابِ دَرَجَاتِ الْمَجَاهِدِينَ ح ٢٧٩٠.

(٣) رواه مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحُثِّ عَلَيْهِ، بِرَقْمِ ٤٨٩.

(٤) رواه الترمذي، بِرَقْمِ 2353، وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَحَسَنَهُ الْإِلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ، ابْنُ مَاجَةَ (٤١٢٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، بِرَقْمِ ٣٢٤١، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النَّسَاءُ وَبَيَانَ الْفِتْنَةَ بِالنِّسَاءِ، بِرَقْمِ ٢٧٣٧.

(٦) رواه البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، بِرَقْمِ ٦٠٢١.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسْسُوكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَ وَالْعِظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاقُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١).

قال ابن رجب رحمه الله: «والصدقة بغير المال نوعان:»^(٢)

أحدهما: ما فيه تعديدية الإحسان إلى الخلق فتكون صدقة عليهم، وربما كان أفضل من الصدقة بالمال.

وهذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دعا إلى طاعة الله، وكف عن معاصيه، وذلك خير من النفع بالمال، وكذلك تعليم العلم النافع، وإقراء القرآن، وإزالة الأذى عن الطريق، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم.

الثاني: من الصدقة التي ليست مالية ما نفعه قاصر على فاعله، كأنواع الذكر من التكبير والتحميد والتهليل والاستغفار»

فضل ذكر الله وأنه صدقة على النفس.

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تحريم الزنا.

أن إتيان الحلال استغناء عن الحرام يجعل الحلال قربة وصدقة.

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة ومنعها جميعاً من النظر إلى الحرام أو الفكر فيه، أو لهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة»^(٣).

الحث على السؤال عما ينتفع به المسلم ويرتقى به في مراتب الكمال

(١) رواه ابن حبان، فضل من البر والإحسان، ذَكَرُ بَيَانَ الصَّدَقَةِ لِلْمَرْءِ بِإِرْشَادِ الضَّالِّ، برقم ٥٢٩، وحسنه الالباني في «الصحيححة» (٥٧٢).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ٢ / ٥٩

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٧ / 92

الحديث السادس والعشرون

فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وإعانتهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"^(١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد:

سلامي: السلام: عظام الكف والأصابع والأرجل، والمراد في هذا الحديث جميع أعضاء جسم الإنسان ومفاصله، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ مَفْصَلًا، عَلَى كُلِّ مَفْصَلٍ صَدَقَةٌ»^(٢)

أن على الإنسان كل يوم تطلع فيه الشمس عن كل عضو من أعضائه صدقة. وهذا سهل، فإنه يستطيع أن يأتي بهذا الدين بالتسبيح والتهليل والتكبير، وجاء في رواية (ويجزىء من ذلك ركعتان من الضحى)

فضيلة العدل بين الناس. والعدل له فضائل:

أن الله أمر به.

فقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَابْتِغَىٰ لَكُمْ لِعَظْمِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ النحل: ٩٠

أن الله يحب أهله قال سبحانه

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس، والعدل بينهم، برقم ٢٧٠٧، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم ١٠٠٩

(٢) رواه ابن حبان، باب ذكر كتبه الله جل وعلا الصدقة للتمرة بصلاة الضحى، برقم ٢٥٤٠، وصححه الالباني في الارواء (٢/ ٢١٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَطُوا لِنَّ اللَّهِ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٩١﴾ الحجرات: ٩

على منابر من نور.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا^(١)

في ظل الله يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِبَالَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٢)

فضيلة الصلح بين الناس، وأنه من أعظم الأعمال

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ النساء: ١٢٨

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ النساء: ١١٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١﴾ الأنفال: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقْبَلَ إِلَيْنَا أَمْرًا لِّلَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ الحجرات: ٩

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟" قَالُوا: بَلَى قَالَ: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ قَالَ: وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ" ﴿٣﴾

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «أَذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ بَيْنَهُمْ» ﴿٤﴾

(١) رواه مسلم، أبواب الامارة، باب الإمام العادل برقم ٤٧٤٨

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الاذان، باب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَلَ الْمَسَاجِدِ برقم ٦٦٠، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ برقم ١٠٣١

(٣) رواه أحمد، برقم ٢٧٥٠٨، ورواه الترمذي، ١٩٣٨ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَصَحَّحَهُ الْإِبْرَاهِيمُ فِي الْمَشْكَاةِ ٥٠٣٨، غَايَةُ الْمَرَامِ ٤١٤: وَفِي الصَّحِيحَةِ

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب قَوْلِ الْإِمَامِ لِأَصْحَابِهِ: أَذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ، برقم ٢٦٩٣

من أقوال السلف (١)

قال أنس: «من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة»
وقال أبو أمامة: «امش ميلاً وعد مريضاً، وامش ميلين وزر أخاً في الله، وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين»
وقال بعض العلماء: «من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس، ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء»

الحث على معاونة الإنسان لأخيه المسلم، فيعينه في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه
فضائل التعاون: حث الله عليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: ٢

أنه سبب للقوة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْرِعُوا بِالنَّفْسِ أَنْ تَنْزِعُوا عَنْهَا فَإِنْ تَذَهَبَ بِهَا مِنْكُمْ تَرْحُمْنَا وَإِنْ يَأْتِهَا أَصْحَابُكُمْ وَأَصْرُهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ آيَةً فَذَلِكُمْ أَصْحَابُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ الأنفال: ٤٦

أنه سبب لمعونة الله للعبد.

عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢)

فضل الكلمة الطيبة وأنها صدقة.

كالسلام - ورد السلام - وتشميت العاطس - وذكر الله - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

والكلام الطيب هو الذي يقبل عند الله، كما قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر: ١٠

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢ / ٩٠

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ برقم ٢٤٤٢ ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ برقم ٢٥٨٠

فضل المشي إلى المساجد، ففي كل خطوة صدقة.

أن كل خطوة إلى المسجد صدقة. كما في حديث الباب.

أنه من أسباب محو الخطايا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرَّبَاطُ» ^(١)

أن كل خطوة تمحو سيئة وأخرى تكتب حسنة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ فَخَطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخَطْوَةٌ تَكْتُبُ لَهُ حَسَنَةً، ذَاهِبًا وَرَاجِعًا» ^(٢)

فضائل إمطة الأذى عن الطريق

أنه صدقة. لحديث الباب.

من علامات الإيمان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ^(٣) أنه من أسباب دخول الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ طَهْرِ الطَّرِيقِ، كَأَنَّهُ تُوذِي النَّاسَ» ^(٤)

من أسباب المغفرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غَضْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ» ^(٥)

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، برقم ٢٥١

(٢) رواه أحمد في مسنده، برقم ٦٥٩٩، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٩٩

(٣) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب شعب الايمان، برقم ٦١

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم برقم ١٢٩

(٥) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب من أخذ الغصن، وما يؤذي الناس في الطريق، فرمى به، برقم ٢٤٧٢ ورواه مسلم كتاب البر والصلة والاداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم برقم ١٢٧

الحديث السابع والعشرون

البر حسن الخلق

عن النّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» رواه مسلم. وعن ابصّة بن معبد رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «جئت تسأل عن البر؟»، قلت: نعم. قال: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»^(١)

ترجمة الراوي:

النّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ ابْنَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ لَهُ وَلَإِيهِ صَحْبَةٌ، يُقَالُ: إِنَّ أَبَاهُ سَمْعَانَ بْنُ خَالِدٍ وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْطَاهُ نَعْلَيْهِ، فَقَبِلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجَهُ أُخْتَهُ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَوَّذَتْ مِنْهُ فَتَرَكَهَا،^(٢)

مسائل وفوائد:

الحث على حسن الخلق، وأنه من أعظم خصال البر.

في الحديث بعض علامات الإثم:

قلق القلب واضطرابه، لقوله (والإثم ما حاك في صدرك).

كراهة اطلاع الناس عليه، لقوله (وكرهت أن يطلع عليه الناس).

قال ابن رجب: في قوله (الإثم ما حاك في....)

”إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً فلم ينشرح له الصدر،

ومع هذا فهو عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه، وهذا أعلى مراتب معرفة

الإثم عند الاشتباه، وهو ما استنكر الناس فاعله وغير فاعله”^(٣)

(١) رواه أحمد بن حنبل برقم، ١٨٢٨٤، وحسنه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٧٣٤

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة - عز الدين ابن الأثير. ٥ / ٣٤٥

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢ / ٩٥

أن صاحب القلب السليم، يضطرب قلبه ويخاف عند فعل الحرام أو الشك به. قال ابن رجب: «فدل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه مما سكن إليه القلب، وانشرح إليه الصدر، فهو البر والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام» (١)

أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه.

أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم وإن أفتاه غيره بأنه ليس بإثم. قال ابن رجب رحمه الله: «وهذه مرتبة ثانية، وهو أن يكون الشيء مستكراً عند فاعله دون غيره وقد جعله أيضاً إثماً، وهذا إنما يكون إذا كان صاحبه ممن شرح صدره للإيمان، وكان المفتي يفتي له بمجرد ظن أو ميل إلى هوى من غير دليل شرعي، أما إذا كان فتوى المفتي تستند إلى دليل شرعي فيجب على المرء أن يتقيد بها وإن لم يطمئن قلبه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) النساء: ٦٥» (٢)

معجزة الرسول ﷺ، حيث أخبر وابصة بما في نفسه قبل أن يتكلم به.
 أن الدين وازع ومراقب داخلي.
 أن الدين يمنع من اقتراف الإثم.
 طمأنينة القلب السليم للخير.
 نفور القلب السليم من الشر.
 بلاغة النبي ﷺ.

(١) المرجع السابق ٢ / ٩٥

(٢) المرجع السابق ١ / ٩٦

الحديث الثامن والعشرون

وجوب لزوم السنة

عن أبي نجیح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيروا بغيره، فإن كل بدعة ضلالة»^(١)

ترجمة الراوي:

العرباض بن سارية السلمي أبو نجیح أحد أصحاب الصفة وأحد البكائين الذين نزل فيهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم الآية سكن حمص توفي سنة خمس وسبعين للهجرة، وقد كان العرباض شيخاً كبيراً، وكان يجب أن يقبضه الله إليه، وكان يدعو: اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك

مسائل وفوائد:

أفاد الحديث أهمية الموعظة وفي الموعظة مسائل مهمة:

مشروعيتها

قال سبحانه **﴿وَعَظُّهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾** النساء: ٦٣

عن جابر بن عبد الله، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء، فوعظهن وذكرهن، فقال: «تصدقن، فإن أكثركن حطب جهنم»، فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين، فقالت: لم؟ يا رسول الله قال: «لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير»، قال: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أفرطتهن وخواتمهن.^(٢)

(١) أخرجه أبو داود - كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، (٤٦٠٧). والدارمي - كتاب: المقدمة، باب: اتباع السنة، (٩٦). والترمذي - كتاب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٢٦٧٦)

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب العيدين، باب المشي والركوب إلى العيد والصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة. برقم ٩٦١، ورواه مسلم، كتاب صلاة العيدين، برقم ٨٨٥

أن لا يديم الموعظة بل يتخولهم

عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ، فَقُلْنَا: أَعْلَمُهُ بِمَكَانِنَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُخْبِرُ بِمَكَانِكُمْ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةٌ أَنْ أُمْلِكْكُمْ، «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا»^(١) يتخولنا: يتعاهدنا.

والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لثلاث نمل.

أن لا يطيل في الموعظة.

عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: خَطَبْنَا عَمَّارًا، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانَ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ، مِثْنَةٌ مِنْ فَهْمِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيِّنِ سِحْرًا»^(٢)

وعند أبي داود (كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هي كلمات يسيرات). أن تكون بليغة.

لقوله في الحديث (وعظنا موعظة بليغة..).

قال ابن رجب: «والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، واتصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها وأفصحها وأحلاها للأسماع وأوقعها في القلوب»^(٣)

أن من صفات المؤمنين عند سماع الموعظ، البكاء والخوف.

قال ابن رجب رحمه الله: «هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر»^(٤) كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(٥) الأنفال: ٢

وقال سبحانه ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾^(٦) الحديد: ١٦

(١) رواه مسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب الإقتصاد في الموعظة، برقم ٢٨٢١

(٢) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم ٨٦٩

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ٩٧

(٤) المرجع السابق

فِي شَرْحِ الْأَعْيَانِ النَّوَوِيَّةِ

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَذَكَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ أَلْدِينِ يَحْسَبُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ نَجِدُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ﴿٣٢﴾ الزمر: ٢٣

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَىٰ الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِشَيْءٍ مِّنَ الْمَاءِ الْمَائِدَةِ﴾ ﴿٨٣﴾ المائدة: ٨٣

فضل البكاء من خشية الله. وللبكاء من خشية الله فضائل

سبب للنجاة من النار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَبْرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانَ جَهَنَّمَ»^(١)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٢)

البكاء مع الذكر سبب لإزالة الله للعبد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِئْئَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٣)

أن البكاء من خشية الله سمة من سمات الصحابة.

كما في حديث الباب.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمْتُ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالَ: فَغَطَّىٰ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ حَنِينٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: فَلَانَ، فَتَرَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ} ^(٤)

(١) رواه الترمذي أبواب الجهاد، باب ما جاء في فضل العُبار في سبيل الله، برقم ١٦٣٣ وقال هذا حديث حسن صحيح وصححه الالباني في المشكاة (٣٨٢٨)، التعليق الرغيب (٢ / ١٦٦)

(٢) رواه الترمذي، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، برقم ١٦٣٩ وصححه الالباني في المشكاة (٣٨٢٩)، التعليق الرغيب (٢ / ١٥٣)

(٣) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الاذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم ٦٦٠ ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم ١٠٣١

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ} [المائدة: ١٠١]، برقم

أمثلة على بكاء الصحابة:

ثبت في ترجمة عمر بن الخطاب أنه كان في وجهه خطان أسودان.
وكان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى تبتل لحيته من البكاء.
ثبت عن ابن عمر أنه ما قرأ قول الله { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } إلا بكى حتى يغلبه البكاء

فائدة: قال أبو سليمان الداراني: " لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء من خشية الله « وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية، وهذا واجب بالكتاب والسنة والإجماع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿٥٩﴾ النساء: ٥٩
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعُوا سَمْعُونَ﴾ ﴿الأنفال: ٢٠﴾
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ يَعُصَنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعُصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»^(١)
عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّهُ أَنْتَهَى إِلَى الرَّبَذَةِ، وَقَدْ أُفِيْمَتِ الصَّلَاةُ، فَإِذَا عَبْدٌ يُؤْمِمُهُمْ، فَقِيلَ هَذَا أَبُو ذَرٍّ، فَذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدِّعَ الْأَطْرَافِ^(٢)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^(٣)
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَرَوِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»^(٤)

قال شارح الطحاوية: «أما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة

(١) رواه مسلم، كتاب الامارة، - بابٌ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ برقم ١٨٣٥

(٢) رواه ابن ماجه، برقم ٢٨٦٢، وصححه الالباني في صحيح الظلال (١٠٥١)

(٣) رواه مسلم، كتاب الامارة، بابٌ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، برقم ١٨٣٩

(٤) رواه مسلم، كتاب الامارة، بابٌ الْأَمْرُ بِالزُّوْمِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَتَحْذِيرِ الدَّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ، برقم ١٨٤٩

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزء من جنس العمل»^(١) وقال ابن رجب: «وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم

مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم»^(٢)

معجزة للنبي ﷺ حيث وقع ما أخبر به من الاختلاف والفرقة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ»^(٣)

العلاج عند الاختلاف، وهو التمسك بالسنة لقوله (فعلیکم بستتي)

أن للخلفاء الراشدين سنة متبعة.

لقوله (وسنة الخلفاء الراشدين).

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ»^(٤)

والخلفاء الراشدون الذين أمرنا بالاعتداء بهم هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

قال ابن رجب: «وإنما وصف الخلفاء بالراشدين لأنهم عرفوا الحق وقضوا به»^(٥).

قال ابن رجب رحمه الله: «هذا من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيهه بقوله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين برىء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة»^(٦).

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٢ - ٥٤٣)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ٥ - ١٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٨٠ - ١٨١).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١١٧/٢

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، بابُ افْتِرَاقِ الْأُمَّمِ، برقم ٣٩٩٣

(٤) مسند الحميدي، برقم ٤٥٤

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١٢٦/٢

(٦) المرجع السابق ١٢٧/٢

الحديث التاسع والعشرون

ما يدخل الجنة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم تلا: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾ حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾. ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟»، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»، قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه، وقال: «كف عليك هذا». قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟»^(١)

ترجمة الراوي:

هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، السيّد الإمام، الخزرجيّ المدنيّ، يُكنّى بأبي عبد الرحمن، أمّه هند بنت سهل من بني رفاعة، كان معاذ شاباً طويلاً أبيضاً وضيء الوجه، حسن الشعر، أكحل العينين، مجموع الحاجبين، جميلاً سمحاً من خير شباب قومه، قيل عنه إنّه من أجمل الرجال، كان له من الولد عبد الرحمن وأمّ عبد الله وولد آخر لم يُذكر اسمه، قال عنه أحد التابعين: (دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس، جعد ققط، فإذا تكلم كأنها يخرج من فيه نور ولؤلؤ، فقلت من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل)، وقال فيه الخولانيّ رحمه الله: (أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب محمّد، وإذا شاب فيهم أكحل العين برّاق الثنايا، كلّموا اختلّفوا في شيء ردّوه إلى الفتى، فسأل عنه أحد الجلساء فقال هو معاذ بن جبل رضي الله عنه)، أسلم معاذ بن جبل وهو في عمر الثامنة عشرة، وكان من الرجال السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية مع

(١) أخرجه الترمذي - كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، (٢٦١٦)، وابن ماجه - كتاب: الفتن، باب: كف اللسان، (٣٩٧٣)، والإمام أحمد في مسنده - (ج ٥/ص ٢٣١)، مسند الأنصار عن معاذ بن جبل، (٢٢٣٦٦)، والنسائي في السنن الكبرى - (ج ٦/ص ٤٢٩)، السير، باب: قوله تعالى ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ عن المضاجع وقوله: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة عين)، (١١٣٩٤)

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوِيَّةِ

الأَنْصَارِ، شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَدْرًا وَأَحَدًا وَالْمَشَاهِدَ كُلِّهَا، وَابْتَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْيَمَنِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَأُمُورَ دِينِهِمْ وَيَقْبِضَ مِنْهُمْ الصَّدَقَاتِ.

أُصِيبَ بِالطَّاعُونَ فَمَاتَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ثَمَانِيَةَ وَثَلَاثِينَ

مسائل وفوائد:

بيان أن الاعمال الصالحة سبب في دخول الجنة كما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ الزخرف: ٧٢

أن أعظم ما يسأل عنه هو أسباب دخول الجنة، وأسباب الابتعاد عن النار، لأن من دخل الجنة ونجا من النار فقد فاز الفوز العظيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ رُحِّجَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ

﴿١٨٥﴾ آل عمران: ١٨٥

وقد قال تعالى في صفات عباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ الفرقان: ٦٥

عَنْ أَنَسٍ، رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَفِي عَذَابِ النَّارِ»^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ التَّشَهُدِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(٢).

أن أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر الشرك.

الشرك:

تعريفه: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله. (وهذا هو الشرك الأكبر).

وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والندور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضره أو يمرضه.

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برقم ٢٦٩٠

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاض منه في الصلاة، برقم ٥٨٨

هو أعظم الظلم.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَئُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾

لقمان: ١٣

والظلم وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم.

أنه محبط للعمل.

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأنعام: ٨٨

لا يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه.

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا

عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨

أن الجنة حرام على المشرك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢

أن القيام بأركان الدين سبب لدخول الجنة (وقد سبق الكلام على أركان الإسلام في حديث رقم: ٣).

ينبغي للمسلم أن يحرص على معرفة أبواب الخير لكي يكثر منها.

قال ابن رجب رحمه الله: « لما رتب دخول الجنة على واجبات الإسلام دله بعد ذلك على أبواب

الخير من النوافل، فإن أفضل أولياء المقربين الذين يتقربون إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض^(١)

فضل الصوم وأنه سبب للنجاة من النار. وللصوم فضائل:

من أسباب النجاة من النار.

كما في حديث الباب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ»^(٢)

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ١٣٦

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الصيام، باب فَضْلِ الصَّوْمِ، برقم ١٨٩٤ ورواه مسلم، كتاب الصيام، باب

فَضْلِ الصَّيَامِ، برقم ١١٥١

وللنسائي «جنة من النار كجنة أحدكم من القتال»^(١)

ولأحمد «الصَّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ»^(٢) والجنة: بضم الجيم الوقاية والستر.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا^(٣)

الصيام طريق إلى الجنة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: آتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: مُرْنِي بِأَمْرٍ آخِذُهُ عَنْكَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ»^(٤)

الصوم فضله عظيم اختص الله به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَخَلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(٥)

اختلف ما المراد بقوله «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» مع أن الأعمال كلها له وهو الذي

يجزي بها؟

فقيه: إن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، وقيل: وأنا أجزي به، أي أتفرد بعلم مقدار

ثوابه وتضعيف حسناته.

الصوم يشفع لصاحبه.

عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة،

يقول الصيام: أي رب، منعتني الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتني النوم

بالليل، فشفعني فيه»، قَالَ: «فیشفعان»^(٦)

فضل الصدقة وأنها سبب لمحو الخطايا (وقد سبقت فضائل الصدقة في حديث رقم: ٢٣)

(١) رواه النسائي برقم ٢٢٣١ وصححه الالباني في صحيح النسائي

(٢) رواه أحمد، برقم ٩٢٢٤ وحسنه الالباني في صحيح الترغيب

(٣) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل من صام يوماً في سبيل الله، برقم ٢٦٨٣

(٤) رواه النسائي، برقم ٢٢٢٠، وصححه الالباني، في الصحيحة ١٩٣٧

(٥) رواه البخاري، كتاب اللباس، بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الْمِسْكِ، برقم ٥٩٢٧

(٦) رواه أحمد، برقم ٦٦٢٦، وصححه الالباني في المشكاة ١٩٦٣، صحيح الترغيب ٩٧٣

فضل صلاة الليل وأنها تطفيء الخطيئة كالصدقة. ولقيام الليل فضائل:

أن الله مدح أهله.

قال تعالى ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦)

﴿ السجدة: ١٦ ﴾

أنه أفضل الصلاة بعد الفريضة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَرْفَعُهُ، قَالَ: سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ (١)

من علامات المتقين.

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (١٥) ءَاخِذِينَ مَاءً أَنْهَمَ رَبُّهُمْ عَنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِمِينَ (١٦) كَانُوا

قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُونَ (١٧) وَيَأْتَسِرُونَ بِمَسْتَعْفِرُونَ (١٨) ﴿ الذاريات: ١٥ - ١٨ ﴾

من أسباب دخول الجنة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَنْجَفَلَ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمْتُ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ (٢)

أنه شرف للمؤمن.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحَبُّ مَنْ شَتَّ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَأَعْمَلُ مَا شَتَّتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَعَشِ مَا شَتَّتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٣)

لهم غرف في الجنة.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنَهَا

(١) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، برقم ٢٧٢٦

(٢) سنن ابن ماجه، برقم ١٣٣٤ وصححه الالباني في الإرواء (٣ / ٢٣٩)، التعليق الرغيب (١ / ٢١٤)، صحيح

الرغيب والترهيب (٦١٢)، الصحيحة (٥٦٩)، تخريج فقه السيرة (٢١٣)

(٣) رواه البيهقي في شعب الايمان، برقم ١٠٠٥٨، وصححه الالباني في الصحيحة ٨٣١.

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَفْشَى السَّلَامَ وَصَلَى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا^(١)
من أقوال السلف: (٢)

قال محمد بن المنكدر: «ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في جماعة»

وقال الحسن: «ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال، وإن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل» .

وقال الفضيل بن عياض: «إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك» .

وقال أبو سليمان الداراني: «أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو في لهوهم، ولو لا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا»

أن رأس الأمر الإسلام

قال ابن رجب رحمه الله:

”فأما رأس الأمر، فيعني بـ «الأمر» الدين الذي بعث به، وهو الإسلام، وقد جاء تفسيره في رواية أخرى بالشهادتين، فمن لم يُقرَّ بهما باطناً وظاهراً فليس من الإسلام في شيء”^(٣)

أهمية الصلاة في الإسلام وأنها عموده. كما يقوم الفسطاط على عموده.

أهمية الجهاد في سبيل الله، فهو ذروة سنام الإسلام، وهو أعلى ما فيه وأرفعه، لأن فيه إعلاء لكلمة الله.

وللجهاد في سبيل الله فضائل:

أنه ذروة سنام الإسلام.

لحديث الباب.

أن الروحة أو الغدوة في سبيل الله خير من الدنيا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٤)

(١) رواه ابن حبان برقم ٥٠٩، وحسنه الالباني في ((التعليق الرغيب)) (٢/ ٤٦)

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢/ ١٤٠

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ٨١٢

(٤) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابُ الْعُدُوَّةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَابِ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مَنْ

ومعنى الحديث: أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله.

أنه من أفضل الأعمال.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَعْلَاهَا ثَمَنًا» قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَجِدْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ» وَقَالَ: فَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «كَفَّ أَدَاكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَنْ نَفْسِكَ» (١)

أن المجاهد أفضل الناس.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» (٢)

الجهاد لا يعدله شيء.

عن أبي هريرة. قال (قيل يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) (٣).

للمجاهدين مائة درجة في الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ» (٤)

الجنة، برقم ٢٧٩٢، ورواه مسلم، كتاب الامارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، برقم ١٨٨٠

(١) رواه الامام أحمد في مسنده برقم ٢١٣٣١ وصححه الالباني في الصحيحة (١٤٩٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الامارة، باب فضل الجهاد والرباط، برقم ١٨٨٨

(٣) رواه مسلم، كتاب الامارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، برقم ١٨٧٨

(٤) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يُقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي، برقم ٢٧٩٠

الجهاد سبب للنجاة من النار.

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»^(١)

قال الحافظ ابن حجر: «وفي ذلك إشارة إلى عظم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه؟»^(٢)
من أسباب دخول الجنة.

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ﴾^(٣)
التوبة: ١١١.

المجاهد يكون الله في عونته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمَكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّائِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَاةَ^(٤)
الجهاد سبب لمغفرة الذنوب.

قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَحْرٍ مَلِيحٍ غَيْرِ لَمِيعٍ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥) ﴿الصف: ١٠ - ١١﴾
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

أن حفظ اللسان وضبطه أصل لكل خير، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وأضبطه.
قال ابن رجب رحمه الله: «والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد غداً الندامة»^(٤)
اللسان إن تكلم به الكلام المحرم من الغيبة أو النميمة أو السب أو الشتم فإن ذلك من أسباب دخول النار، ويدل لذلك:

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب من اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، برقم ٢٨١١

(٢) إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام، سليمان بن محمد اللهميد، ٤/ ٦٢

(٣) رواه الترمذي، باب مَا جَاءَ فِي الْمَجَاهِدِ وَالنَّائِحِ وَالْمَكَاتِبِ وَعَوْنِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ، برقم ١٦٥٥ وقال هذا حديث حسن، وحسنه الالباني في ابن ماجه (٢٥١٨)

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ٢/ ١٤٧

حديث الباب (وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم).
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ حَلِيِّهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ
دَخَلَ الْجَنَّةَ. (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بِأَسَا يَهْوِي
بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ». (٢)

وفي رواية «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُن فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ» (٣)
من أقوال السلف في حفظ اللسان: (٤)

- قال يونس بن عبيد: «خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما: صلاته ولسانه.»
وقال الحسن بن صالح: «فتشت الورع، فلم أجده في شيء أقل من اللسان.»
وقال الحسن: «اللسان أمير البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئاً جنت، وإذا عفا عفت.»
وقال عمرو بن العاص: «الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل.»
وقيل: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها صار في وثاقها.

قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان.
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان.

(١) رواه الترمذي، باب ما جاء في حفظ اللسان، برقم ٢٤٠٩، وقال هذا حديث حسن غريب. وقال الالباني، في

الصحيحة (٥١٠) حسن صحيح

(٢) رواه الترمذي، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، برقم ٢٣١٤، وقال هذا حديث حسن غريب.

وصححه الالباني في الصحيحة برقم ١٦١٨

(٣) رواه البخاري، كتاب الرفاق، باب حفظ اللسان، برقم ٦٤٧٧

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ٢/ ١٥٠

الحديث الثلاثون حقوق الله تعالى

عن أبي ثعلبة الخشبي - جرثوم بن ناشر - رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»^(١).

ترجمة الراوي:

أبو ثعلبة الخشبي جرثوم بن ناشر، نزل الشام. له صحبة من النبي ﷺ

مسائل وفوائد:

الحديث قسم الأحكام إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الفرائض (كالصلاة، والصيام، والزكاة، وجميع الواجبات التي أمر الله بها). وهذه يجب المحافظة عليها.

القسم الثاني: الحدود التي حدّها الشرع.

كحد الزنا وحد السرقة وحد شرب الخمر، فهذه يجب الوقوف عندها بلا زيادة ولا نقصان. الحكمة من هذه الحدود: المنع والزجر عن الوقوع في المعاصي، وتمنع المعاودة في مثل ذلك الذنب وتمنع غيره أن يسلك مسلكه. وإقامة حدود الله في الأرض فيه خير عظيم

يُحرم الشفاعة لإسقاطها.

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ فُرَيْشًا أَهْمَهُمْ شَأْنَ الْمَرْأَةِ الْمُخْرُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(٢)

(١) أخرجه الدارقطني - كتاب الرضّاع ج ٤/ص ١٨٥، (٤٢)

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم ٣٤٧٥ رواه مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، برقم (١٦٨٨)

القسم الثالث: المحرمات التي حرمها الشارع

فهذه يجرم فعلها. (كالشرك، والقتل بغير الحق، وشرب الخمر، والزنا، وغيرها مما حرمها الشرع).

تعريف المحرم: لغة: الممنوع، واصطلاحاً: ما ذم فاعله شرعاً.

وحكمه: يثاب تاركه امتثالاً، ويعاقب فاعله.

وله صيغ يأتي بها:

منها: لفظ التحريم ومشتقاتها، كقوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ ﴾ المائدة: ٣

ومنها: صيغ النهي المطلق، كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى ﴾ الإسراء: ٣٢ .

ومنها: التصريح بعدم الحل، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ” لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا يَأْخُذِي ثَلَاثُ: الثِّبُّ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ ” (١)

ومنها: أن يرتب الشارع على فعل شيء عقوبة، كقوله تعالى { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديها... }، يجب ترك المحرمات والمنهيات كلها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ” مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ” (٢).

القسم الرابع: المسكوت عنه.

وهذا حكمه: حلال.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: « لكن هذا في غير العبادات، أما في العبادات فقد حرم الله أن يشرع أحد من الناس عبادة لم يأذن بها الله » (٣)

وجه الدلالة من الحديث على أن ما سكت عنه فهو عفو:

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ... } الآية برقم ٦٨٧٨ ورواه مسلم، كتاب القسامة والمحارمين، بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ، برقم ١٦٧٦

(٢) رواه الامام أحمد، برقم ٨٦٦٤، وصححه الالباني في ((الإرواء)) (١٥٥ و٣١٤)

(٣) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، ص ٣١١

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

أنه ﷺ بين أن ما سكت الله عنه بعد الشرع إنما هو مباح رحمة بنا وتخفيفاً عنا، فلا نبحت عن السؤال عنه، وهذا دليل على إباحته.

ومعنى كون السكوت رحمة، لأنها لم تحرم فيعاقب على فعلها، ولم تجب فيعاقب على تركها، بل هي عفو لا حرج في فعلها ولا في تركها. لا ينبغي البحث والسؤال عما سكت عنه.

لأنه على الأصل، ولذلك كان النبي ﷺ يكره السؤال وينهى عنه خوفاً أن يفرض على الأمة، وإنما نهى عن كثرة السؤال خشية أن يرد تكاليف بسبب السؤال قد يشق على بعض الناس امتثالها والإتيان بها.

انتفاء النسيان عن الله تعالى.

قال تعالى ﴿لَا يَصِلُ رَجِيٌّ وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿٥٢﴾ طه: ٥٢

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ مريم: ٦٤

وأما قوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ﴿٦٧﴾ التوبة: ٦٧، فالمراد: هنا الترك، أي تركوا الله فتركهم وصف الله عز وجل بالسكوت، هذا من تمام كماله عز وجل، أنه إذا شاء تكلم وإذا شاء لم يتكلم.

الحديث الحادي والثلاثون

الزهد الحقيقي

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس: فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(١)

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي وشهد قضاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المتلاعنين، وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزنًا، فسماه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهلاً، قال الزُّهْرِيُّ: رَأَى سهل بن سعد النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمس عشرة سنة. وعاش سهل و طال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتنح معه، أرسل الحجاج سنة أربع وسبعين إلى سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلته، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه، وختم أيضًا في عنق أنس بن مالك رضي الله عنه، حتى ورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان فيه، وختم في يد جابر بن عبد الله، يريد إذلالهم بذلك، وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعوا منه

وتوفي سهل سنة ثمان وثمانين، وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مائة سنة، ويقال: إنه آخر من بقي من أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة^(٢)

مسائل وفوائد:

فضل الزهد في الدنيا، وقد كثر في القرآن مدح الزهد في الدنيا وذم الرغبة فيها.

فأخبر سبحانه أنها متاع قليل.

فقال تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(١٨٥) آل عمران: ١٨٥

وقال سبحانه ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَنِيلاً﴾^(٧٧) النساء: ٧٧

(١) أخرجه ابن ماجه - كتاب: الزهد، باب: الزهد في الدنيا، (٤١٠٢) وصححه الالباني في صحيح ابن ماجه

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الاثير، ٢ / ٥٧٥

فِي شَرْحِ الْأَلْبَابِ التَّوْبَةِ

قال القرطبي: «متاع الدنيا منفعتها والاستمتاع بلذاتها، وسماه قليلاً لأنه لا بقاء له» (١).

توعد سبحانه لمن رضي بالدنيا واطمأن بها وغفل عن آياته.

فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ يونس: ٧ - ٨ .

عير سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين.

فقال سبحانه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ءَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ التوبة: ٣٨

أخبر سبحانه عن خسة الدنيا وزهد فيها ودعا إلى دار السلام.

فقال تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَرَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَذَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ؕ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يونس: ٢٤

أخبر سبحانه أن الدنيا زائلة والآخرة خير وأبقى.

فقال تعالى ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١١﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ الأعلى: ١٦ - ١٧ .

قال ابن كثير: «أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم ومعاشكم ومعادكم» (٢).

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَأَتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ» (٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَابٍ اسْتَطَلَّ تَحْتِ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (٤)

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٨١ / ٥

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦٠٨ / ٤

(٣) رواه مسلم، كتاب الرقاق، بَابُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النَّسَاءُ وَبَيَانَ الْفِتْنَةَ بِالنِّسَاءِ، برقم ٢٧٤٢

(٤) رواه الترمذي، برقم ٢٣٧٧ وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وصححه الالباني في الصحيحة (٤٣٩) و (٤٤٠)، تخريج فقه السيرة (٤٧٨) وصححه الترمذي وصححه ابن ماجه

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ^(١)

من أقوال السلف:

قال علي: «من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات»^(٢)

وقال الحسن: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن»^(٣).

وقال جندب بن عبد الله: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»^(٤).

وقال الحسن: «من أحب الدنيا وسرته، خرج حب الآخرة من قلبه»^(٥).

وقال عمرو بن العاص: «ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، إنه كان أزهّد الناس في الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها»^(٦)

وقال ابن مسعود من أراد الآخرة أضّر بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضّر بالآخرة، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي»^(٧)

وعنه قال: «أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم؟ قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهّد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم»^(٨)

قال ابن رجب رحمه الله: «وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهاداً وسكناً، ولا إلى ما أودعه الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبته فيها من الشجر والزرع، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته، وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم

(١) رواه الترمذي، برقم ٢٣٢٠ وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وصححه الالباني في الصحيحة (٩٤٠)

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان برقم ١٠١٣٩

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٢٠٣

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٢٠٣

(٦) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٢٠٣

(٧) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٢٠٣

(٨) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٢٠٣

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

الواقعة في الدنيا، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تُحمد عاقبته، بل يقع على ما تضر عاقبته، أو لا تنفع»^(١)

أن من أسباب محبة الله الزهد في الدنيا، لأن الإنسان لا يزهد في الدنيا حقيقة إلا من أيقن بالجنة. أمور تعين على الزهد في الدنيا:

أولاً: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها.

ثانياً: النظر في الآخرة، وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات.

ثالثاً: أن ذلك سبب لراحة البدن والقلب. كما قال الحسن: ” الزهد في الدنيا يريح البدن والقلب ”

فضل الاستغناء عما في أيدي الناس، لأن النبي - ﷺ - جعله سبباً لمحبة الناس لك. لأنهم منهمكون على محبتها بالطبع، فمن زاحمهم عليها أبغضوه، ومن زهد فيها وتركها لهم أحبوه.

وقد جاء في حديث سهل بن سعد مرفوعاً (شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس)^(٢)

وقال الحسن: «لا تزال كريماً على الناس، أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك»^(٣)

وقال أيوب السخيتاني: «لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم»^(٤)

وكان عمر يقول في خطبته: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه»^(٥).

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٢٠٣

(٢) صححه الالباني في الصحيحة ٨٣١.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٣ / ٢٠

(٤) أخرجه: أبو نعيم في «الحلية» ٣ / ٥ بنحوه.

(٥) أخرجه: أبو نعيم في «الحلية» ١ / ٥٠.

القول النبوي

وقال أعرابي لأهل البصرة، «من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بما سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم»^(١).

قال ابن رجب: «وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم، فمن سأل الناس ما بأيديهم، كرهوه وأبغضوه، لأن المال محبوب لنفوس بني آدم، فمن طلب منهم ما يحبونه، كرهوه لذلك»^(٢).

(١) انظر «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٠٦)، و«فيض القدير» (١/ ٤٨١).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٢٠٦)،

الحديث الثاني والثلاثون

لا ضرر ولا ضار

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانَ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) ^(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ مُرْسَلًا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يَقْوَى بَعْضُهَا بَعْضًا

ترجمة الراوي:

سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثًا. توفي في المدينة ^(٢)

مسائل وفوائد:

تحریم إلحاق الضرر بالغير، وهو يتقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون الغرض من ذلك الضرر.

فهذا لا ريب في قبحه وتحريمه، وقد ورد في القرآن النهي عن المضارة في مواضع:

في الوصية.

قال تعالى ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارًّا وَوَسِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾

[النساء: ١٢].

والإضرار في الوصية تارة يكون بأن يخص بعض الورثة بزيادة على فرضه الذي فرضه الله، فيتضرر بقية الورثة بتخصيصه.

وتارة بأن يوصي لأجنبي بزيادة على الثلث فينقص حقوق الورثة.

ومتى وصى لوارث أو لأجنبي بزيادة على الثلث لم ينفذ ما وصى به إلا بإجازة الورثة.

(١) رواه ابن ماجه، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، برقم ٢٣٤٠ وصححه الالباني في الصحيحة (٢٥٠)، الإرواء (٨٩٦)، غاية المرام (٦٨) من رواية ابن عباس

(٢) الاعلام، للزركلي، ٨٧ / ٢

عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته في حجة الوداع ان الله عزوجل قد اعطى كل ذى حق حقه لا وصية لوارث ^(١)

الرجعة في النكاح.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْدِي اللَّهِ هُزُومًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ البقرة: ٢٣١.

فدل ذلك على أن من كان قصده بالرجعة المضارة فإنه آثم بذلك، وهذا كما كانوا في أول الإسلام قبل حصر الطلاق في ثلاث: يطلق الرجل امرأته ثم يتركها حتى يقارب انقضاء عدتها ثم يراجعها ثم يطلقها، ويفعل ذلك أبداً بغير نهاية، فيدع امرأته لا مطلقة ولا ممسكة، فأبطل الله ذلك وحصر الطلاق في ثلاث مرات.

القسم الثاني: أن يكون الضرر من غير قصد. كأن يتصرف في ملكه بما يتعدى ضرره إلى غيره، وهذا على نوعين:

النوع الأول: أن يتصرف على وجه غير معتاد ولا مألوف، فلا يسمح له به.

كأن يؤجج ناراً في أرضه في يوم عاصف، فيحترق ما يليه.

النوع الثاني: أن يتصرف على الوجه المعتاد، وهذه تختلف وجهات نظر العلماء.

يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر) أن الله لم يكلف عباده فعل ما يضرهم البتة، فإن ما يأمرهم به هو عين صلاح دينهم وديناهم، وما نهاهم عنه هو عين فساد دينهم وديناهم، لكنه لم يأمر عباده بشيء هو ضار لهم في أبدانهم أيضاً.

ولهذا أسقط الطهارة بالماء عن المريض، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، ٦ / ٢٤٤

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

جُنُبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ المائدة: ٦.

وأسقط الصيام عن المريض والمسافر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ البقرة: ١٨٥

وأسقط اجتناب محظورات الإحرام كالحلق ونحوه عن مريض أو به أذى من رأسه وأمر بالفدية.

الحذر من ظلم الغير. فالظلم ظلمات يوم القيامة ودعوة المظلوم لاترد الدين حماية للنفس والمال.

الحديث الثالث والثلاثون

مِنَ أَسْسِ الْقَضَاءِ فِيهِ الْإِسْلَامُ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بَدْعُوهُمْ، لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِيِ وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»^(١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث التاسع عشر

مسائل وفوائد

حرص الإسلام على حفظ الحقوق.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «هذا الحديث عظيم القدر، وهو أصل من أصول القضايا والأحكام، فإن القضاء بين الناس إنما يكون عند التنازع، هذا يدعي على هذا حقاً من الحقوق، فينكره، وهذا يدعي براءته من الحق الذي كان ثابتاً عليه، فبين ﷺ أصلاً بفض نزاعهم، ويتضح به المحق من المبطل، فمن ادعى عيناً من الأعيان، أو ديناً، أو حقاً من الحقوق وتوابعها على غيره، وأنكره ذلك الغير، فالأصل مع المنكر

ويشترط في الشهود:

البلوغ - والعقل - والكلام - والإسلام - والعدالة.

ويكون في الزنا: أربعة رجال ولا يقبل فيها النساء.

وفي النكاح والطلاق والرجعة وبقية الحدود: اثنان.

وفي الأموال وما يقصد به المال كالبيع والأجل: رجلان أو رجل وامرأتان.

الرضاع والولادة والبكارة، ومثل هذه الأمور التي لا يطلع عليها الرجال، تقبل شهادة امرأة

واحدة.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج ١٠ / ص ٢٥٢، (٢٠٩٩٠). وفي البخاري بمعناه - كتاب: التفسير، باب: (إن الذين يشتركون بعهد الله وأيمانهم ثمناً)، (٤٥٥٢). ومسلم - كتاب: الأقضية، باب: اليمين على المدعى عليه، (١٧١١)

الحكمة في كون البينة على المدعي:

لأنه يدعي أمراً خفياً بحاجة إلى إظهار، والبينة دليل قوي لإظهار ذلك. أنه إذا لم يجد المدعي بينة ولا شهوداً، فإن القاضي يطلب من المدعى عليه أن يخلف أن ما ادعاه عليه المدعي غير صحيح ويكون الحكم له بيمينه.

يجب الحذر من الأبيان الكاذبة، فقد جاء الوعيد في ذلك:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ افْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ» قَالَ وَآ: «وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا؟» قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ» يَقُولُهَا ثَلَاثًا^(١)

بين ﷺ في هذا الحديث الحكم، وبين الحكمة في هذه الشريعة الكلية، وأنها عين صلاح العباد في دينهم وديناهم، وأنه لو يعطى الناس بدعواهم لكثير الشر والفساد، ولادعى رجال دماء قوم وأموالهم

شأن الشريعة جاءت لحماية أموال الناس ودماءهم.

(١) رواه الامام أحمد في مسنده برقم ٥٧ وصححه الالباني في صحيح، ابن ماجه (٢٣٢٤)

الحديث الرابع والثلاثون

النهي عن المنكر من الإيمان

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) ^(١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث الثاني والثلاثون

مسائل وفوائد

اختلف العلماء في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قولين:

القول الأول: أنه واجب.

لحديث الباب (فليغيره..) وهذا أمر، والأمر يدل على الوجوب.

القول الثاني: أنه فرض كفاية.

وهذا مذهب أكثر العلماء.

لقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُقْلِحُونَ﴾ ^(١٠٤) آل عمران: ١٠٤

قالوا: إن (من) في قوله (منكم) للتبويض.

قال ابن قدامة: «في هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين، لأنه قال (ولتكن

منكم) ولم يقل كونوا كلكم أمرين بالمعروف

وهذا القول هو الصحيح.

هناك أحوال يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين:

أولاً: التعيين من قبل السلطان.

ثانياً: التفرد بالعلم بأن معروفاً قد ترك، أو منكراً قد ارتكب.

(١) أخرجه مسلم - كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، (٤٩)، (٧٨)

في شرح الأربعين النووية

قال النووي: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، ثم إنه قد يتعين إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو.»

ثالثاً: انحصار القدرة في أشخاص محددين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضائل وثمرات كثيرة، منها:

مهمة الرسل.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ﴾ ﴿٣٦﴾ النحل:

٣٦

من صفات المؤمنين.

قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ﴾ ﴿٧١﴾ التوبة: ٧١

أن خيرية الأمة مناصرة هذه الشعيرة.

قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ﴾ ﴿١١٠﴾

آل عمران: ١١٠

أنه من أوصاف سيد المرسلين.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَخْرَجَ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ﴾ ﴿١٥٧﴾ الأعراف: ١٥٧

أنه من خصال الصالحين.

قال تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا دَعَا اللَّهُ لِيُحْجِجَهُمْ سُبُلَ نَبِيِّهِ لَقَالُوا إِنَّهُ مُجْرَبٌ وَنَبِيُّ اللَّهِ يَدْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ بِشَيْءٍ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ بِحُجْرٍ ۗ﴾ ﴿١١٣﴾ آل عمران: ١١٣ - ١١٤

من أسباب النصر.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَدَّمتْ صَوَامِعُ وَبِعُجٌّ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۗ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أقموا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ الحج: ٤٠ - ٤١

من أسباب النجاة.

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوٓءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ الأعراف: ١٦٥

خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أن ذلك من صفات المنافقين.

قال تعالى ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾

التوبة: ٦٧

نزول البلاء والعذاب.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ ^(١)

عدم استجابة الدعاء.

عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» ^(٢)

اللعن والإبعاد من رحمة الله.

قال تعالى ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ المائدة: ٧٨

من أقوال السلف:

قال الثوري: «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف

المنافقين» ^(٣)

(١) رواه الترمذي، برقم ٢١٦٨، وصححه الالباني في ابن ماجه (٤٠٠٥)

(٢) رواه الترمذي، برقم ٢١٦٩، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وحسنه الالباني في المشكاة (٥١٤٠)

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال، ص ٤٨

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

وقال علي: «أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألستكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس، فجعل أعلاه أسفله»^(١)

وقال أبو الدرداء: «لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم»^(٢)

وقال حذيفة عندما سئل عن ميت الأحياء: «الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه»^(٣) وقال إسماعيل بن عمر: «من ترك الأمر بالمعروف وخوف المخلوقين، نزعت منه الهيبة، فلو أمر ولده لا استخف به».

في هذا الحديث بيان كيفية تغيير المنكر ودرجاته:

التغيير باليد.

ويشترط للتغيير باليد أن يكون مستطيعاً، فإن لم يستطع كأن يخاف أن يترتب على ذلك منكراً أعظم أو مفسدة كبرى، فإنه لا يغير بيده.

بدأ بتغيير المنكر باليد، لأنه أقوى درجات الإنكار، لأنه إزالة للمنكر بالكلية وزجر عنه.

التغيير باللسان.

كالتذكير والترغيب والترهيب والوعظ. إذا لم يستطع التغيير باللسان لوجود مانع، فإنه لا يغير بلسانه.

التغيير بالقلب.

وهذه واجبة على الجميع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما القلب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ (وذلك أدنى أو أضعف الإيمان)»،^(٤)

(١) مصنف ابن شيبه، كتاب الفتن، ما ذكر في فتنه الدجال، ٧/٣٧٥٧٨، ٥٠٤

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلما الأقطار، للقرطبي، برقم ١٥٢٢

(٣) الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، برقم: ٧١٨٤، ١٠/٧٣

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية ص ١١

وقيل لابن مسعود: «من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً»^(١)

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الاستطاعة.

وهذا الشرط مأخوذ من قواعد الشريعة العامة، من عدم تكليف المسلم ما لا يطيق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٢٨٦) البقرة: ٢٨٦

قال ابن كثير: «أي لا يكلف أحداً فوق طاقته وهذا من لطفه بخلقه ورافته بهم وإحسانه إليهم»^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَأَنْقُوْا لِلّٰهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١٦) التغابن: ١٦

وفي حديث الباب (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع...):

أن يكون بعلم.

فلا بد من العلم بالمنكر والمعروف، ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي.

قال عمر بن عبد العزيز: «من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»^(٣).

أن يكون رقيقاً.

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٤)

أن يكون حليماً صبوراً على الأذى، فإنه لا بد أن يحصل له أذى

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْ أَعْمُرَ الصُّلُوْةَ وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوْفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلٰى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِ﴾^(١٧) لقمان: ١٧

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٣٥) الأحقاف: ٣٥

وهل يشترط أن يكون عدلاً؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: يشترط ذلك. واستدلوا:

بقوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ أَفْلًا تَعْقِلُونَ﴾^(٤٤)

البقرة: ٤٤

(١) الاستقامة، لابن تيمية، ٢/ ٢١٣

(٢) تفسير القران العظيم، لابن كثير، ١/ ٧٣٧

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/ ٣٨٢

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم ٢٥٩٤

وهذه الآية ذم لهم.

ويقوله تعالى ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ﴿٢﴾ ﴿الصف: ٢﴾
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ”رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رِجَالًا تُقْرِضُ شَفَاهَهُمْ
بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيْلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطْبَاءُ مَنْ أَمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ
بِالْبُرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ“^(١).

القول الثاني: لا يشترط ذلك. واستدلوا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ”لِيُوَيِّدَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ“^(٢)
وبعموم الآيات والأحاديث الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ولأن اشتراط العدالة سد لباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
قال سعيد بن جبير: «إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر
أحد بشيء»^(٣)

وهذا القول هو الصحيح.

فائدة:

قال ابن القيم رحمه الله:
”إنكار المنكر له أربع درجات:
الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.
الثانية: أن يقل وإن لم يزل من جملته.
الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.
الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.
فالدرجتان الأولىان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة“^(٤).

(١) مسند الامام أحمد، برقم ١٣٥١٥ وقال الالباني في ((الصحيحه)) (٢٩١)، ((تخریج فقه السیره)) (١٣٨).

حسن صحيح

(٢) رواه ابن حبان برقم ٤٥١٨، وقال الالباني في الصحيحه حسن صحيح

(٣) شرح الأربعين النووية للإمام النووي رحمه الله، سليمان بن محمد اللهيبيد، ١٠٤/١

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ١٢/٣

الحديث الخامس والثلاثون

أخوة الإسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذب به، ولا يحقره. التقوى ههنا - ويشير إلى صدر ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»^(١)

ترجمة الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد

الحسد. وهو تمنى زوال النعمة عن الغير.

وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ النساء: ٥٤

ومن السنة حديث الباب (لا تحاسدوا).

وأجمع العلماء على تحريمه.

خطورة الحسد:

من صفات اليهود.

قال تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا

مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ البقرة: ١٠٩

فيه أذى للمسلمين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيَرٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا

وَأَلْمَامِيْنًا ﴾ الأحزاب: ٥٨

أمر الله بالاستعاذة منه.

(١) أخرجه مسلم - كتاب: الإيثار، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيثار وأن الإيثار يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، (٤٩)، (٧٨)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٥) الفلق: ٥

أن فيه اعتراض على قدر الله وهذا سوء أدب.

قال الشاعر:

ألا قل لمن كان حاسداً أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب

الحسد أضر شيء على الحاسد، لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود

مكروه

أولاً: غم لا ينقطعه. ثانياً: مصيبة لا يؤجر عليها. ثالثاً: مذمة لا يحمدها.

رابعاً: يسخط عليه الرب. خامساً: تغلق عليه أبواب التوفيق.

من أقوال السلف.

روي عن معاوية أنه قال لابنه: «يا بني إياك والحسد، فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك».

وعن سفيان بن دينار قال: «قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا

يعملون سيراً ويؤجرون كثيراً، قلت: ولم ذلك؟ قال: لسلامة صدورهم».

وشتم رجل ابن عباس، فقال له: «إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي على الآية في كتاب

الله فلو ددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل

في حكمه فأفرح به، ولعلي لا أفاضي إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان

المسلمين فأفرح به، وما لي به من سائمة»^(١)

وقال علي: «لا راحة لحسود، ولا إخاء لملول، ولا محب لسيء الخلق».

وقال معاوية: «كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها».

وقال بعض الحكماء: «ما رأيت ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد».

وقال بعضهم: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط».

الحسد سبب لكثير من البلياء.

فهو سبب امتناع إبليس من السجود لآدم

وهو من أسباب امتناع القرشيين من الإيمان بالرسول - ﷺ

وسبب لامتناع اليهود من الإيمان بمحمد ﷺ

وإخوة يوسف لما حسدوه باعوه.

تحريم النجش

وهو أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها.

وغالباً من يفعل ذلك:

إما للإضرار بالمشتري، أو لنفع البائع، أو للأمرين.

والناجش آثم، وإذا وقع البيع فهو صحيح عند الجمهور.

تحريم التباغض بين المسلمين، لقوله (ولا تباغضوا).

ويمكن أن يجتنب التباغض بين المسلمين بأمرين:

التباعد عن كل أمر يؤدي إلى التباغض.

فقد حرم الله الخمر لأنه يقع بين المسلمين العداوة والبغضاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (١١)

المائدة: ٩١

- وحرمة المشي بالنميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء.

- وحرمة بيع المسلم على بيع أخيه لنفس العلة.

القيام بالأسباب التي تؤدي إلى التحاب بين المسلمين.

معرفة أن التحاب من علامة الإيمان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْلكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (١)

الهدية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تَهَادُّوا تَحَابُّوا) (٢)

إفشاء السلام

كما في الحديث السابق (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا،.....أفشوا السلام بينكم).

أن الله امتن على عباده بالتأليف بين قلوبهم.

(١) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم ٥٤

(٢) رواه البخاري في الادب المفرد، برقم ٥٩٤، وحسنه الالباني في صحيح الادب المفرد

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١٣) آل عمران: ١٠٣

أن البغض في الله من أوثق عرى الإيمان.

تحريم التدابر، وهو الهجران والتقاطع.

ويمكن للمسلم أن يتجنب الهجران بمعرفة خطورته:

أولاً: أنه حرام.

لحديث الباب (ولا تدابروا).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَفِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(١)

ثانياً: خطر من هجر أخاه سنة.

عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفِكَ دَمِهِ»^(٢)

ثالثاً: أن التهاجر والتقاطع يفرح الشيطان.

عَنْ جَابِرٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرَشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنزِلَةٌ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتَهُ حَتَّى فَرَّقْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيَدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ” قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ»^(٣)

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلِّونَ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(٤)

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، برقم ٢٥٦٠

(٢) رواه أبو دود، كتاب الادب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، برقم ٤٩١٧ وصححه الالباني في الصحيحة برقم ٩٢٥

(٣) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، برقم ٢٨١٣

(٤) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان

رابعاً: لا ترفع أعمال المهاجرين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(١)

خامساً: معرفة فضل من بدأ منهما بالسلام.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَجِلُّ مُسْلِمٌ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَفِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(٢)

فائدة:

والهجر لا يجوز مطلقاً في الأمور الدنيوية، أما لأجل الدين فيجوز إذا كان لمصلحة وفيه منفعة، وقد هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خلفوا، وأمر بهجرهم.

تحريم بيع المسلم على بيع أخيه.

أولاً: تحريم أن يبيع الإنسان على بيع إنسان آخر.

لقوله ﷺ: (ولا يبيع بعضكم على بيع بعض).

مثال ذلك: أن يشتري شخص من إنسان سلعة بعشرة، فيأتيه آخر ويقول: أعطيك مثلها بتسعة، أو يقول: أعطيك أحسن منها بعشرة.

فهذا حرام ولا يجوز.

ثانياً: ومثله الشراء على شراء أخيه.

مثال ذلك: علمت أن زيداً باع على عمر بيته بـ ١٠٠، فذهبت إلى زيد وقلت له: يا فلان، أنت بعت بيتك على عمر بـ ١٠٠، أنا سأعطيك ١٢٠.

ثالثاً: هل يجوز البيع على بيع الكافر؟ اختلف العلماء على قولين:

القول الأول: يجوز.

لقوله ﷺ: (ولا يبيع الرجل على بيع أخيه) والكافر ليس أحماً.

قريباً، برقم ٢٨١٢

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، برقم ٢٥٦٥

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، برقم ٢٥٦٠

القول الثاني: لا يجوز.

وهذا مذهب جماهير العلماء.

قالوا: وأما قوله: (لا يبيع الرجل على بيع أخيه) فهذا قيد أعلمي لا مفهوم له.

رابعاً: الحكمة من النهي:

قطع العدوان على الغير، واجتناب ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء.

خامساً: ما حكم هذا البيع؟

اختلف العلماء:

القول الأول: أنه صحيح مع الإثم.

وهذا مذهب الجمهور كما ذكر ذلك الشوكاني.

القول الثاني: أنه باطل.

وهذا مذهب المالكية والحنابلة ورجحه ابن حزم.

وجوب أن نكون إخواناً في الله، لقوله { وكونوا عباد الله إخواناً }.

قال ابن رجب رحمه الله: «هذا ذكره النبي ﷺ كالتعليل لما تقدم، وفيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا

التحاسد والتناجش والتباغض والتدابير وبيع بعضهم على بعض كانوا إخواناً»^(١)

كيف نحقق الإخوة؟

أن نفعل كل ما يقوي الإخوة كالسلام، وتشيت العاطس، وعيادة المريض، وتشيع الجنابة، وإجابة الدعوة، والنصح بالغيب. ونبتعد عن كل ما يضعف الإخوة أو يزيلها كالتباغض، والحسد، والغش.

وقد جاءت نصوص تدل على أن المؤمنين إخوة:

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]

١٠

وقال ﷺ (المسلم أخو المسلم).

من مقتضيات الإخوة: عدم الظلم، وعدم الخذلان، وعدم الكذب، وعدم الاحتقار.

عدم الظلم: سبق في حديث (فلا تظالموا).

عدم الخذلان: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/ ٢٧١

رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُرُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»^(١)

عدم الكذب: فلا يجوز أن يكذب على أخيه المسلم، بل لا يحدثه إلا صدقاً.
والكذب محرم وهو من قبائح الذنوب.

قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢)

﴿الإسراء: ٣٦﴾

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الصِّدْقَ بَرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكُذِبَ فَجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الْكُذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ كَذَابًا»^(٣)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٤)

عَنْ بَهْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلُّ لَهُ، وَيَلُّ لَهُ»^(٥)

عدم الاحتمار: فلا يجوز للمسلم أن يحتقر وأن يستصغر أخاه المسلم.

وهو ناشئ عن الكبر، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ.^(٥)

وغمط الناس: الطعن عليهم وازرداؤهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: أَعِنَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، برقم ٢٤٤٤

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب الايمان، باب علامة المنافق، برقم ٣٣ ورواه مسلم، كتاب الايمان، باب بيان خصال المنافق، برقم ٥٩

(٣) متفق عليه: رواه البخاري، الادب، باب قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } وَمَا يُنْهَىٰ عَنِ الْكُذِبِ، برقم ٦٠٩٤ ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فيج الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم ٢٦٠٧

(٤) رواه أحمد في مسنده، برقم ٢٠٠٧٣، وحسنه الالباني في المشكاة ٤٨٣٨. وفي صحيح الترمذي

(٥) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب الكبر وبيانه، برقم ١٧٨

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِأَلْسِنِكُمْ بِسْمِ الْأَسْمِ الْمُسْوُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَنْبَأْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴿الحجرات: ١١﴾

عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَعَرَضُهُ، وَمَالُهُ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَالتَّقْوَى هَاهُنَا»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْقَلْبِ قَالَ: «وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(١)

أن المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه.

دمه: سبقت الأدلة على تحريم قتل المسلم بغير حق.

ماله: لا يجوز أخذ مال المسلم بغير حق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِطْلَاقٍ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِذْتِمَارٍ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ البقرة: ١٨٨

عن أبي حرة الرقاشي عن عمه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»^(٢)

عرضه: فلا يجوز أن يغتابه.

والغيبية حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات: ١٢

قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(٣)

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»^(٤)

(١) رواه الامام أحمد في مسنده برقم ١٦٠١٩

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان، برقم ٥٤٩٢ وصححه الالباني في إرواء الغليل، برقم ١٤٥٩

(٣) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رُبُّ مَبْلَغٍ أَوْحَى مِنْ سَامِعٍ» برقم ٦٧، ورواه مسلم، كتاب الحدود والقسمات، باب تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم ٤٤٠٠

(٤) رواه أبو داود، كتاب الادب، باب في الغيبة، برقم ٤٨٧٨ وصححه الالباني في الصحيحة (٥٣٣)

عن عائشة، قالت: قلت: للنبي ﷺ: حسبك، من صفة كذا وكذا - قال غير مُسَدَّد: تعني قصيرة - فقال: "لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته" قالت: وحكيث له إنساناً، فقال: "ما أحبُّ أني حكيث إنساناً وإن لي كذا وكذا" (١)

قال النووي: «هذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة» .

من أقوال السلف:

قال البخاري: «ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام» (٢)

قال يحيى بن معاذ: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه» .

واغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له: «اذكر القطن إذا وضع على عينيك» .
وقيل للربيع بن خثيم: «ما نراك تعيب أحداً؟ فقال: لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لدم الناس» .

وقال ابن المبارك: «لو كنت مغتاباً أحداً لا غتبت والدي لأنها أحق بحسناتي» .

(١) رواه أبو داود، كتاب الادب، باب في الغيبة، برقم ٤٨٧٥ وصححه الالباني في صحيح الترمذي (٢٦٣٢ - ٢٦٣٣) // صحيح الترمذي (٢ / ٣٠٦) برقم (٢٦٣٦ - ٢٦٣٧)، المشكاة (٤٨٥٣ - ٤٨٥٧)، غاية المرام (٤٢٧) //

(٢) خلق أفعال العباد، للبخاري، ص ٦٤

الحديث السادس والثلاثون قضاء حوائج المسلمين، وفضل طلب العلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبٌ»^(١)

الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد

فضل تنفيس الكرب عن المؤمنين، وهذا يشكل كل كربة سواء في البدن أو في المال. وإنما كان تنفيس الكرب مطلوباً للشرع مثاباً عليه لأن الخلق عيال الله عز وجل فتنفيس كربهم إحسانٌ إليهم، والعادة أن السيد والملك يجب الإحسان إلى عياله وحاشيته والمحسن إليهم. أن التنفيس والتفريج عن المسلمين من أسباب التنفيس والنجاة من كرب يوم القيامة

أسباب النجاة من كرب يوم القيامة كثيرة:

التنفيس عن المسلمين

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة

إنظار المعسر أو الوضع عنه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيبًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنْفِسْ عَنِ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»،^(٢)

الوفاء بالندر، وإطعام الطعام لله

(١) رواه مسلم - كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٢٦٩٩)، (٣٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، برقم ١٥٦٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتُونَ بِاللَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْهٍ مَّسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ ﴿الإنسان:

١٠ - ٧

فضل التيسير على المسلمين، وخاصة المعسرين. وأن من يسر على معسر جازاه الله بأمرين:
التيسير في الدنيا - والتيسير في الآخرة.

والتيسير على المعسر الذي لا يملك شيئاً واجب، ولا يجوز مطالبته.

لقوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (٣٨) البقرة: ٢٨٠

فضل الستر على المسلم.

عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة،

ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته" (١)

عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته" (٢)

قال الإمام مالك: «أدركت هذه البلدة - يعني المدينة - أقواماً ليس لهم عيوب، فعابوا الناس فصارت لهم عيوب، وأدركت هذه البلدة أقواماً كانت لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم» (٣)

قال ابن رجب رحمه الله: «واعلم أن الناس على ضربين: (٤)

أحدهما: من كان مستوراً لا يعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة، فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها، لأن ذلك غيبة محرمة، وهذا هو الذي وردت فيه النصوص. ومثل هذا لو جاء تائباً نادماً، وأقر بحدده، لم يفسره ولم يستفسره، بل يؤمر بأن يرجع ويستر نفسه، كما أمر النبي ﷺ ماعزاً والغامدية.

(١) رواه ابن ماجه، أبواب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، برقم ٢٥٤٦

(٢) رواه أبو داود، كتاب الادب، باب في الغيبة، برقم ٤٨٨٠، وقال الالباني حسن صحيح، المشكاة (٥٠٤٤) / التحقيق الثاني، التعليق الرغيب (٣/ ١٧٧)

(٣) التذكرة للحميدي (وهو مطبوع ضمن كتاب الفوائد)، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي، برقم ٣٨١

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ٢٠١

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوِيَّةِ

والثاني: من كان مشتهراً بالمعاصي معلناً بها، ولا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له، هذا هو الفاجر المعلن، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره، لتقام عليه الحدود، ومثل هذا لا يشفع له إذا أخذ ولو لم يبلغ السلطان، بل يترك حتى يقام عليه الحد، ليكشف ستره، ويرتدع به أمثاله .)

عون الله لمن أعان مسلماً، لكن هذا مقيد بما إذا كان على البر والتقوى لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ المائدة: ٢ وأما إذا كان على إثم فحرام، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢

وأما إذا كان على أمر مباح فهذا من الإحسان لقوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَتْلُوا بآيَاتِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَآخِصُوا بِإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥

أن سلوك طريق العلم مؤد إلى الجنة، وهذا الطريق يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية إلى حصول العلم، مثل: حفظه، ومدارسته، ومذاكرته، ومطالعتة، وكتابته.

فضل طلب العلم، وأنه من أسباب دخول الجنة، وللعلم فضائل كثيرة:

أولاً: أنه من أسباب دخول الجنة. لحديث الباب.

ثانياً: من أسباب الرفعة.

قال تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

المجادلة: ١١

ثالثاً: أن الله لم يأمر نبيه بالاستزادة إلا من العلم.

قال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤

قال ابن القيم: «وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه»^(١)

رابعاً: أن الله استشهدهم وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾ آل عمران: ١٨ قال القرطبي: «هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء،

فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء»^(٢)

خامساً: أن العلم دليل على الخير.

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم ٥٣/١

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤ / ٤١

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان، وهو يخطب يقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإننا أنا قاسمٌ ويعطي الله»^(١)
قال الحافظ ابن حجر: «يفقهه: أي يفهمه، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير»^(٢)

سادساً: أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم.

عن قيس بن كثير، قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء، وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يتنغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»^(٣)

قال ابن القيم: «وضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً له وتوقيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوة»^(٤)

قال الخطابي: «وفي معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بسط الأجنحة. الثاني: أنه بمعنى التواضع تعظيماً لطالب العلم. الثالث: أنه المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران».

سابعاً: العلماء ورثة الأنبياء.

قال ﷺ (وإن العلماء ورثة الأنبياء)^(٥).

ثامناً: فضل العلم أفضل من فضل العبادة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم ٧١ ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم ١٠٣٧

(٢) فتح الباري، لابن حجر - ١٦٥ / ١

(٣) رواه الترمذي، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم ٢٦٨٢

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم ٦٣ / ١

(٥) رواه الترمذي، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة، برقم ٢٦٨٢

فِي شَرْحِ الْأَيْعِينَ النَّوَوِيَّةِ

عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَمَلَكَ دِينِكُمْ الْوَرَعُ»^(١)

من أقوال السلف.

قال علي: «كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه»^(٢).

وقال معاذ: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح»^(٣)

وقال الشافعي: «ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم»^(٤)

وقال: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم»^(٥)

وقال سهل بن عبد الله: «من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلي نظر إلى مجالس العلماء»^(٦)

وقال الزهري: «ما عبد الله بمثل الفقه»^(٧)

وقال الثوري: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية»^(٨)

فضل الاجتماع على ذكر الله ومدارسة القرآن.

قال ابن رجب رحمه الله: «هذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته،

وهذا إن حمل على تعلم القرآن وتعليمه فلا خلاف في استحبابه»^(٩).

عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١٠)

(١) رواه الحاكم في المستدرک، کتابُ العِلْم، برقم ٣١٣، رواه الطبراني في «الأوسط» والبخاري بإسناد حسن. وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٧٣٩

(٢) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد السفيري، ٢/ ٨٦

(٣) المرجع السابق

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم ١/ ١١٩

(٥) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد السفيري، ٢/ ٨٩

(٦) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم ١/ ١١٩

(٧) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ١/ ٦٠

(٨) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ١/ ١٢٣

(٩) المرجع السابق ٢/ ١٠٢٠

(١٠) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القِرَاءَةِ عَنْ ظَهْرِ الْقَلْبِ، برقم ٥٠٢٧

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «فذلك الذي أفعدني في مقعدي هذا» (١)

وكان النبي ﷺ أحياناً يأمر من يقرأ القرآن ليسمع قراءته، عَنْ عَمْرٍو بْنِ مِرَّةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ»، قَالَ: أَقْرَأْ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النَّسَاءِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) النساء: ٤١، فَكَيْ (٢)

وكان عمر يأمر من يقرأ عليه وعلى أصحابه وهم يستمعون، فتارة يأمر أبا موسى، وتارة يأمر عقبة بن عامر.

وجاءت أحاديث تدل على فضل الاجتماع على ذكر الله مطلقاً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتِكُمْ» قَالَ: «فِيحْفُونُهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَنْعَوِدُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا خَافَةً» قَالَ: «يَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ:

فِيهِمْ فَلَانَ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» (٣)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنْ رَسُولٌ

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٣٤٤

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، برقم ٥٠٥٦ ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، برقم ٨٠٠

(٣) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، برقم ٦٤٠٨

فِي شَيْخِ الْأَيْمَنِ النَّوَوِيِّ

اللَّهُ ﷻ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنُحَمِّدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفِكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيْلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ» (١)

قال ابن القيم: «أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه»، ثم ذكر حديث (إن الله ملائكة سيارة) وقال فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جلسيهم، فلهم نصيب من قوله: وجعلني مباركاً أينما كنت، فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشؤوم أين حل (٢).

أن من جلس في بيت من بيوت الله لذكر الله وقراءة القرآن، فإنه يحصل على أربع مزايا:

الأولى: تنزل عليهم السكينة

عَنِ الْبَرَاءِ، ﷺ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطْنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدُونُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ» (٣)

الثانية: غشيان الرحمة.

الثالثة: أن الملائكة تحف بهم.

الرابعة: أن الله يذكرهم فيمن عنده.

قال ابن رجب ﷺ: «وهذه الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد كلاهما عن النبي ﷺ قال: إن لأهل الذكر تعالى أربعاً: تنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحف بهم الملائكة، ويذكرهم الرب فيمن عنده» (٤)

أن من ذكر الله ذكره الله.

(١) رواه مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالذُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، برقم ٢٧٠١

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ص ٦٥

(٣) رواه مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ نَزُولِ السَّكِينَةِ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، برقم ٢٧٠١.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٣/ ١٠٢٧.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ أنه قال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب» (١).
الحث على تدبر القرآن وتفهمه.

قال ابن تيمية: «المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همته لم يكن من أهل العلم والدين» (٢).

قال ابن القيم: «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير» (٣).

وقال النووي: «وينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تشرح الصدور، وتستنير القلوب» (٤).

وقال الحسن البصري: «يا ابن آدم كيف يرق قلبك، وإنما همتك في آخر السورة» (٥).

وقال إبراهيم الخواص: «دواء القلوب في خمسة: ... وذكر منها: قراءة القرآن بالتدبر».

وقد ذم النبي ﷺ الخوارج عن جابر بن عبد الله، قال: أتى رجلٌ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حَيْنٍ، وَفِي ثَوْبٍ بِلَالٍ فَضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خَبَتَ وَخَسِرَتْ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ» (٦).

(١) رواه الامام أحمد في مسنده برقم ٨٦٣٥.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢ / ٢٣٥.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم ١ / ١٨٧.

(٤) مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، للمروزي، ص ١٤٨.

(٥) مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، للمروزي، ص ١٤٨.

(٦) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبّر من قوِي إِيَانَهُ. برقم ٢٤١٣.

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

أي أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقراءه وهم لا يتفقهون فيه ولا يعرفون مقاصده.
أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح لا الأحساب والأنساب، فالله رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب

قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿فصلت: ٤٦﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١٤) [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(٢).

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، برقم ٢٥٦٤.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟، برقم ٢٧٥٣ ورواه مسلم، كتاب الايمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، برقم ٢٠٦.

الحديث السابع والثلاثون فضل الله تعالى ورحمته.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»^(١).

الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث التاسع عشر

مسائل وفوائد

النوع الأول: أن يعمل الحسنة.

فهذا يضاعفها الله له إلى عشر حسنات.

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمثالها وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقد يضاعفها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»^(٢).

وفي حديث الصيام عن أبي هريرة رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٣).

(١) متفق عليه أخرجه البخاري - كتاب: الرقاق، باب: من هم بالحسنة أو سيئة، برقم (٦٤٩١). ورواه مسلم -

كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، (١٣١)، (٢٠٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الامارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، برقم ١٨٩٢.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري - كتاب: الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم برقم (١٩٠٤). ورواه

مسلم - كتاب: الصوم، باب: باب فضل الصيام، برقم ١١٥١.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

قال ابن رجب رحمته: «أن مضاعفة الحسنات زيادة على العشر تكون بحسب حسن الإسلام، ويكون بحسب كمال الإخلاص، وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه، وبحسب الحاجة إليه»^(١). وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته: «(إلى سبعائة ضعف) وهذا تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء ضاعف هذا، وإن شاء لم يضاعف»^(٢).

النوع الثاني: الهم بالحسنة فلم يعملها فإنها تكتب له حسنة كاملة من غير تضعيف.
كما في حديث الباب.

وفي رواية عن هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمَلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمَلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا» وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْزُقُوهُ فَإِنْ عَمَلَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايَ» وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ»^(٣).

والمراد بالهم العزم المصمم الذي يوجد معه الحرص على العمل لا مجرد الخاطر.

مثال: أراد أن يذهب لمجلس علم، فمرض أحد أهله فانشغل به.

وكممن أراد أن يتصدق بصدقة فلم يجد معه دراهم، وكان يظن وجودها.

النوع الثالث: أن يعمل السيئة، فهذا تكتب عليه سيئة واحدة من غير مضاعفة.

كما في حديث الباب (وإن هم بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة).

وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

النوع الرابع: الهم بالسيئة ثم يتركها خوفاً من الله، فهذا تكتب له حسنة.

كما في حديث الباب (وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة).

وقد جاء في رواية (إنها تتركها من أجلي أو من جرائي).

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب ٢ / ٣١٦.

(٢) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، ص ٣٧٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، برقم ١٢٩.

مثل قصة الذي همّ بابنة عمه بسوء فتركها لله، فأجاب الله دعاءه وفرج همه فانفرجت الصخرة. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «من هم بالسيئة وسعى في تحصيلها لكن عجز عنها، فهذا يكتب عليه وزر السيئة كاملاً»^(١)، دليل ذلك، عن الأحنف بن قيس، قال: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟، قَالَ: قُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَغْنِي عَلِيًّا - قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئِيهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قَالَ فَقُلْتُ: أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ»^(٢)

عظم فضل الله ورحمته بعباده.

فمن رحمته: أن الحسنه مضاعفة، والسيئة لا تضاعف.

ومن رحمته: جعل أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة.

ومن رحمته: عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»^(٣)

ومن رحمته: عن جابر بن عبد الله، ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ"^(٤)

ومن رحمته: أن أمة الإسلام هي أقل الأمم عملاً، وأكثرهم أجراً.

جاء في رواية في آخر الحديث (ولا يهلك على الله هالك)^(٥)، قال ابن رجب ؒ: «يعني بعد هذا الفضل العظيم من الله والرحمة الواسعة منه بمضاعفة الحسنات والتجاوز عن السيئات، لا يهلك على الله إلا من هلك، وألقى بيده إلى التهلكة، وتجراً على السيئات، ورغب عن الحسنات، وأعرض عنها»^(٦).

(١) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، ص ٣٧١

(٢) رواه البخاري، كتاب الايمان، باب { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات: ٩] برقم

٣١ رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئِيهِمَا برقم ٢٨٨٨ واللفظ له

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، برقم ١٥٤٩٠

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، برقم ٤٣٨

(٥): المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لابن نعيم الاصبهاني، برقم ٣٣٨

(٦) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، ٢ / ٣١٦

أسلوب الترغيب والترهيب من أفضل أساليب التربية.

اطلاع الملائكة على ما بهم به الإنسان.

على المسلم أن ينوي فعل الخير دائماً وأبداً، لعله يكتب له أجره وثوابه.

الإيمان باللوح المحفوظ.

إحصاء الحسنات والسيئات على الإنسان.

واختلف العلماء هل تكتب الملائكة المباح؟

ف قيل: تكتب ما فيه ثواب وعقاب.

وقيل: تكتب كل شيء من الكلام، ورجحه ابن كثير.

لعموم قوله تعالى ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ﴿١٨﴾ ق: ١٨

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(١).

الحث على العمل الصالح والمسارة فيه.

أعظم التجارة العمل الصالح.

(١) رواه ابن ماجه، برقم ٣٩٧٠، وصححه الالباني في، الصحيحة (٥٤٠) وصحيح ابن ماجه

الحديث الثامن والثلاثون

العبادة لله وسيلة القرب والمحبة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ) ^(١)

أترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث التاسع

مسائل وفوائد

فضيلة أن يكون الإنسان ولياً من أولياء الله.

وولاية الله ليست بالدعوى والكلمات وإنما بالعمل وبشروطها:

أولاً: الإيمان بالله.

ثانياً: تقوى الله.

قال تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٦٢) يونس: ٦٢

وجوب محبة الله.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ^(٥٥)

المائدة: ٥٥

من صفات أولياء الله:

أشداء على الكفار - رحماء بينهم. قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ ^(٢٩) الفتح: ٢٩

تحريم معاداة أولياء الله.

وجوب معاداة أعداء الله وعدم محبتهم.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ ^(١) الممتحنة:

أن أفضل ما يتقرب العبد لربه بالفرائض .

الصلاة الفرض أفضل من الصلاة النفل .

والصوم الفرض أفضل من الصوم النفل وهكذا .

وأفضل فرائض البدن التي تقرب إلى الله الصلاة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا نُطِئُ لَكُمْ وَلَا أَقْبِرُ﴾

[العلق: ١٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(١).

قال عمر رضي الله عنه أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله^(٢).

الأعمال الصالحة تتفاضل من حيث الجنس ومن حيث النوع.

فمن حيث الجنس: الفرائض أحب إلى الله من النوافل .

ومن حيث النوع: الصلاة أحب إلى الله مما دونها من الفرائض .

إثبات المحبة لله، محبة تليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَارْسَلُوا إِلَيْهِ فَاتُونِي بِهِ». فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَانَتْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْرُ النَّعَمِ»^(٣).

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، برقم ٤٨٢

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، ٢/ ٣٣٦

(٣) رواه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم ٣٧٠١

أسباب تجلب محبة الله:

كثرة النوافل.

كما في حديث الباب.

قال ابن القيم: «التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد

المحبة»^(١).

متابعة الرسول.

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١

قال أبو سليمان الداراني: «لما ادّعت القلوب محبة الله، أنزل آية المحنة { قل إن كنتم تحبون الله

فاتبعوني يحببكم الله }».

ومنها: الذلة على المؤمنين.

ومنها: العزة على الكافرين.

ومنها: الجهاد في سبيل الله.

ومنها: لا يخافون لومة لائم.

قال تعالى ﴿ يَتَأَيَّمُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِحْبَابًا وَيَأْتُوا الْكُفَّارِينَ بِلُحْمٍ ذَرْبٍ وَالْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكُفَّارِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٥٤

قال ابن القيم: «فذكر لهم أربع علامات»^(٢).

أحدها: أدلة على المؤمنين، قيل معناه أرقاء، وقيل: رحماء مشفقين عليهم، عاطفين عليهم

العلامة الثانية: أعزة على الكافرين، قال عطاء: للمؤمنين كالوالد لولده، والعبد لسيده، وعلى

الكافرين كالأسد على فريسته (أشداء على الكفار رحماء بينهم).

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد، واللسان، والمال، وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهذا علامة صحة المحبة ..

قراءة القرآن بالتدبر والتفهم.

لأنه ما تقرب المتقربون بمثل ما خرج من الله، وهو القرآن.

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ٢ / ٨٢

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ٣ / ٢٣

فِي شَرْحِ الْأَيْعَابِ النَّوَوِيَّةِ

قال خباب: «تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه.

لا شيء عند المحيين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم»^(١)
كان بعضهم يكثر تلاوة القرآن، ثم اشتغل بغيره، فرأى في المنام قائلاً يقول:

إِنْ كُنْتُ تَزَعُمُ حَبِي فَلَمْ جَفَوْتُ كِتَابِي

أَمَا تَأْمَلْتُ مَا فِيهِ مِنْ لَطِيفِ عِتَابِي^(٢)

فضل المداومة والاستمرار على العمل الصالح،

لقوله: (ولا يزال عبدي يتقرب..). فلا يعتبر الإنسان متقرباً إلى الله بالنوافل محافظاً عليها إلا باستمراره على هذه الطاعة، وإلا فلا يعتبر متقرباً إلى الله بالنوافل.

فالعمل الصالح المستمر مهم لأمرين:

أولاً: أن هذا هو هدي النبي ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أُتْبِتُهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً»^(٣)

ثانياً: أن الأعمال المداوم عليها أحب إلى الله.

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٤)

الاثار الإيجابية للمداومة على العمل الصالح

دوام اتصال القلب بالله.

سبب لمحبة الله.

سبب للنجاة من الشدائد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدَّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»^(٥)

(١) خلق أفعال العباد، للبخاري، ص ٤٠

(٢) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، المروزي، ص ١٧٢

(٣) رواه مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ، برقم ٧٤٦

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، بَابُ الْقَصْدِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، برقم ٦٤٦٤

(٥) رواه الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ أَنْ دَعَا الْمُسْلِمُ مُسْتَجَابَةً، برقم ٣٣٨٢ وقال «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ» وصححه

القول النبوي

أن الله إذا أحب إنساناً وفقه وسدده، ففي بصره فلا يرى إلا خيراً، وفي سمعه فلا يسمع إلا خيراً، وفي يده فلا يبطش إلا على حق. وفي رجله فلا يمشي إلا إلى خير. وإذا سأله أعطاه وأجاب دعاءه، وأعاده مما يكره.

وقد كان كثير من الصحابة مجابوا الدعوة: مثل سعد بن وقاص، وسعيد بن زيد.

— عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عميراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي؟ قال أبو إسحاق: أما أنا، والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أحرمت عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين، وأخف في الآخرين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً، أو رجلاً، إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن. وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتنى دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن) ^(١)

— عن عروة: (أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول الله - ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ” من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أرضين ” فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها، واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت) ^(٢)

الالباني في الصحيحة (٥٩٥)

(١) رواه البخاري، كتاب الاذان، بابُ وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، برقم ٧٥٥

(٢) رواه مسلم، كتاب المساقاة، بابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَغَضَبِ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، برقم ١٦١٠

الحديث التاسع والثلاثون

التجاوز عن المخطف والناسي والمكره

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - قال (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)^(١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث التاسع عشر

مسائل وفوائد:

- سعة رحمة الله بعباده، حيث رفع الإثم عنهم إذا صدرت المخالفة نسياناً أو خطأً أو إكراهاً.
- أن جميع المحرمات إذا فعلها الإنسان جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً فلا شيء عليه فيما يتعلق بحق الله، أما حق الآدمي فلا يعفى عنه من حيث الضمان. من أمثلة ذلك
- رجل قص شعره وهو محرم جاهلاً، فلا شيء عليه.
 - رجل تكلم بالصلاة ناسياً، فصلاته صحيحة ولا شيء عليه.
 - رجل قتل شخص آخر عمداً، فلا إثم عليه، وإن كان هذا لا يعفيه من المطالبة بالدية والكفارة.
 - رجل أكره على الأكل والشرب في نهار رمضان، فصومه صحيح ولا شيء عليه.
 - رجل أكل في نهار رمضان ناسياً، فصومه صحيح ولا شيء عليه.
- أن هذه الأمور الثلاثة: الخطأ، والنسيان، والإكراه سبب للتخفيف ومنع التكليف:

الأول: النسيان:

وهو ذهول القلب عن الشيء وعدم تذكره.

والدليل على أنه سبب للتخفيف ومنع من موانع التكليف.

قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا

(١) أخرجه ابن ماجه - كتاب: الطلاق المكره والناسي، (٢٠٤٥). والبيهقي - ج٧/ص٣٥٧، ٣٥٦. والدارقطني - ج٤/١٧٠، وابن حبان في صحيحه - ج١٦/ص٢٠٢، (٧٢١٩).

مَا لَا طَاقَةَ لِنَايِهِ ۖ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨١﴾
البقرة: ٢٨٦، قال الله تعالى كما في صحيح مسلم (قد فعلت).

ولحديث الباب

الثاني: الخطأ. وهو ضد العمد.

والدليل على أنه سبب للتخفيف ومانع من موانع التكليف.

قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا ﴿٣٨١﴾
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥﴾ الأحراب: ٥

حديث الباب

الثالث: الإكراه

وهو: حمل الغير على أمر لا يرضاه لو خلي ونفسه، بارتكاب النهي أو ترك الأمر.

والدليل على أنه سبب للتخفيف ومانع من موانع التكليف

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴿١٠٦﴾
النحل: ١٠٦

من أكرهه على الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا شيء عليه.

شروط الإكراه ليكون سبباً للتخفيف:

أولاً: أن يكون المكره قادر على إيقاع ما هدد به.

ثانياً: أن يكون المكره عاجزاً عن دفع هذا المكره.

ثالثاً: أن يكون هذا الإكراه مما يشق على المكره تحمله.

رابعاً: أن يظن أو يعلم المكره أن المكره سيوقع ما هدد به.

هذه الموانع سبب للتخفيف في حقوق الله، لأنه مبني على العفو والرحمة، وأما في حقوق

الآدميين فلا تمنع من ضمان ما يجب ضمانه إذا لم يرض صاحب الحق بسقوطه

فائدة:

لا يكون الإكراه سبباً للتخفيف في حالة واحدة، وهي إذا أكرهه على قتل شخص، فليس له

أن يقتله حتى لو أدى إلى قتله، وحكى بعض العلماء الإجماع على ذلك، لأن قتله له افتداء لنفسه

فيكون باختياره

الحديث الأربعون

الدنيا وسيلة ومزرعة للأخرة

عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: (أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك ^(١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث الثالث

مسائل وفوائد:

قال النووي: «معناه: لا تركزن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بقاء يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله» ^(٢).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْ ثَرًا مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا، إِلَّا كَرَاحِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ» ^(٣).

قال بعض العلماء: فتأمل هذا المثال، ومطابقته للواقع سواء، فإنها في خضرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئاً كالظل، والعبد مسافر إلى ربه، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها داراً، ولا يتخذها قراراً، بل يستظل بها بقدر الحاجة، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق

- وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يهيجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ عَارِضٌ ﴿٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

(١) أخرجه البخاري - كتاب: الرقاق، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، (٦٤١٦)

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، ٥/ ٢٩٤

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده، برقم ٢٧٤٤، وصححه الالباني في الصحيحة برقم ٤٣٩

- قال عيسى ابن مريم: « من ذا الذي يبني على موج البحار داراً، تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً ».

- وقال موسى عليه الصلاة والسلام: « اعبروها ولا تعمروها ».

- وقال أبو الدرداء لأهل الشام: « يا أهل الشام ! ما لي أراکم تبون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأکلون، وتؤمّلون ما لا تدرکون، إن الذين قبلکم بنوا مشيداً وأملوا بعيداً وجمعوا عتيداً، فأصبح أملمهم غروراً، ومساکنهم قبوراً »^(١)

- قال عمر بن عبد العزيز: « ألا إن الدنيا بقاؤها قليل، وعزیزها ذليل، وغنيها فقير، وشاها يهرم، وحيها يموت، فلا يغرنکم إقبالها مع معرفتکم بسرعة إدارها، فالمغرور من اغتر بها »^(٢)
وقال علي: « ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل »^(٣)
وقال ابن السمك: « إن الموتى لم يبکوا من الموت، ولكنهم يبکون من حسرة الفوات، فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها، ودخلوا داراً لم يتزودوا لها ».

وقال بعض العلماء: « أيها الإنسان إنما أنت نازل من الدنيا في منزل تعمره أيام عمرك، ثم تخلیه عند موتك لمن ينزله بعدك

قال ابن القيم: « قصر الأمل: هو العلم بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب، فإنه يبعثه على معافضة الأيام، وانتهاز الفرص التي تمر مر السحاب، ومبادرة طيء صحائف الأعمال، ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء، ويحثه على قضاء جهاز سفره، وتدارك الفارط، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة، فيقوم بقلبه - إذا داوم مطالعة قصر الأمل - شاهد من شواهد اليقين، يريه فناء الدنيا، وسرعة انقضائها، وقلة ما بقي منها، وأنها قد ترحلت مدبرة، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصاها صاحبها، وأنها لم يبق منها إلا كما بقي من يوم صارت شمس على رؤوس الجبال، ويريه بقاء الآخرة ودوامها، وأنها قد ترحلت مقبلة، وقد جاء أشراطها وعلاماتها، وأنها مع لقاءها كمسافر قد خرج صاحبه يتلقاه، فكل منها يسير إلى الآخر، فيوشك أن يلتقيا سريعاً ».

(١) فيض القدير، للمناوي، ٥ / ٧٢

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الاصبهاني، ٥ / ٢٦١

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ٨ / ٨٩

إلى أن قال رحمه الله:

« ويكفي في قصر الأمل:

قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧ .

وقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشِرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِ أَلهِوَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يونس: ٤٥ .

وقوله تعالى ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ النازعات: ٤٦ .

وقوله تعالى ﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَن كُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٢ - ١١٤

وقوله تعالى ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٣٥

كان علي رضي الله عنه، يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، قال: «فأما طول

الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق»^(١)

يستحب الإكثار من ذكر الموت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَاتِ»^(٢)

فوائد ذكر الموت:

يردع عن المعاصي - ويلين القلب القاسي - ويذهب السرور بالدنيا - ويزهد فيها - ويهون المصائب - ويبعث على الجد والاجتهاد في العمل للآخرة.

فالمقصود الأعظم من ذكر الموت الاستعداد له بالعمل الصالح.

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٩ .

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ المنافقون: ١٠ .

بالموت ينقطع عمل الإنسان. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١ / ٤٤٨

(٢) رواه الترمذي، باب مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ، برقم ٢٣٠٧ وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وحسنه الالباني في، صحيح ابن ماجه (٤٢٥٨) وصحيح الترمذي

أَنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» (١)

من أقوال السلف:

قال الحسن: «فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي عقل عقلاً».

وقال بعض العلماء: «من ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا».

وقال آخر يوصي أخاه له: «يا أخي احذر الموت في هذه الدار من قبل أن تصير إلى دار تتمنى بها الموت فلا تجده»

وقال شميظ بن عجلان: «من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها».

وقال أبو الدرداء: «إذا ذكر الموتى فعد نفسك كأحدهم» (٢)

وقد جاءت نصوص في الحث على العمل والمبادرة إليه:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَعْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (٣)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ (٤)

قال ابن رجب رحمه الله: «والمراد من هذا أن هذه الأشياء كلها تعوق عن الأعمال، فبعضها يشغل عنه، إما في خاصة الإنسان، كفقره، وغناه، ومرضه، وهرمه، وموته، وبعضها عام كقيام الساعة وخروج الدجال، وكذلك الفتن المزعجة، كما جاء في الحديث: بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم» (٥)

وقال عمر: «التؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة» (٦)

وكان الحسن يقول: «عجباً لقوم أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون»

(١) رواه الترمذي، أبواب الاحكام، باب في الوقف، برقم ١٣٧٦ وصححه الالباني

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢/ ٣٨٥

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، برقم ٦٤١٢

(٤) رواه الحاكم في المستدرک برقم ٧٨٤٦ وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجْرَأْ. وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٣٥٥

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢/ ٣٨٨

(٦) شرح السنة، للبعوي، ١٣/ ١٧٧

في شرح الأربعين النووية

وقال أبو حازم: «إن بضاعة الآخرة كاسدة، يوشك أن تنفق فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير»^(١)

وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن:

فكان ابن عمر يقوم في الليل فيتوضأ ويصلي، ثم يغفي إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، ثم يغفي إغفاء الطير، ثم يقوم يصلي، يفعل ذلك مراراً^(٢)

وكان عمير بن هانى يسبح كل يوم مائة ألف تسيحة^(٣)

وقال أبو بكر بن عياش: «ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة»^(٤).

إن الإنسان إذا لم يستغل حياته وصحته فإنه يندم حين لا ينفع الدم، ويتمنى الرجوع فلا يستطيع.

قال تعالى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾^(٥)

الزمر: ٥٦

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٦) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٧) المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

قال سعيد بن جبير: «كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة»^(٨)

امثل ابن عمر وصية رسول الله ﷺ قولاً وعملاً.

أما قولاً، فإنه كان يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»^(٩)

وأما في الفعل: فقد كان - رضي الله عنه - على جانب كبير من الزهد فيها والقناعة منها باليسير الذي يقيم صلبه ويستر بدنه، وما سوى ذلك يقدمه لغده.

قال جابر بن عبد الله: «ما رأينا أحداً إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر»^(١٠)

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الاصبهاني ٣ / ٢٤٢

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٣٨٨

(٣) المرجع السابق

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ٣٨٩

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الاصبهاني ٤ / ٢٧٦

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٦٩٨ وصححه الالباني في «الصحيحة» (١١٥٧):

(٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الاصبهاني ١ / ٢٩٤

الحديث الحادي والاربعون

علامة الإيمان

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

ترجمة الراوي:

هو: عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، وكان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة.
وكنيته: أبو محمد، وأمه: هي ريطة بنت الحجاج بن منبه السهمية
أسلم قبل أبيه، وهاجر إلى المدينة^(٢)

روى عبدالله بن عمرو سبعائة حديث، اتفق له الشيخان على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين، وحمل عن النبي ﷺ علماً جماً، وله مقام راسخ في العلم والعمل؛
قال يعلى بن عطاء بن أبي رباح: كان عبدالله بن عمرو يكثر من البكاء، ويغلق عليه بابه، ويبكي حتى رمصت عيناه (ما يجتمع في زوايا الأجنان من رطوبة العين)^(٣)

توفي عبدالله بن عمرو بن العاص سنة خمس وستين، وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين سنة^(٤)

مسائل وفوائد:

لا يكمل إيمان أحد حتى يكون هواه وميله إلى الشريعة وتحكيمها أن من كان هواه وميله ما جاءت به الشريعة فهو كامل الإيمان.

وجوب تحكيم الشريعة في كل شيء، لقوله: «لَمَّا جِئْتُ بِهِ» والنبي ﷺ جاء بكل ما يصلح الخلق في معادهم ومعاشهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب قرة العيون - ج ١ / ص ٣٨، (٤٥)

(٢) صفة الصفوة؛ لابن الجوزي، ١ / ٦٥٥

(٣) حلية الأولياء؛ لأبي نعيم الأصفهاني، ١ / ٢٩٠

(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٤ / ٢٠٣.

فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

وَبُثِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ النحل: ٨٩ فليس شيء يحتاج الناس إليه في أمور الدين أو الدنيا إلا بيته - والحمد لله - إما بياناً واضحاً يعرفه كل أحد، وإما بياناً خفياً يعرفه الراسخون في العلم.

التحذير من اتباع الهوى. وقد حذر الله من اتباع الهوى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦١﴾﴾ ص: ٢٦ واتباع الهوى هو منشأ المعاصي. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ القصص: ٥٠ ومتبع الهوى ليس أهلاً أن يطاع.

قال تعالى ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الروم: ٢٩

واتباع الهوى من المهلكات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ» (١)

الهوى حظار جهنم المحيط بها، فمن وقع فيه وقع.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (٢)

أن الله سبحانه جعل متبع الهوى بمنزلة عابد الوثن. قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَفَانَتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾﴾ الفرقان: ٤٣

(١) رواه البيهقي في شعب الايمان، برقم ٦٨٦٥ وحسن الالباني في مشكاة المصابيح

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم ٢٨٢٢

الحديث الثاني والاربعون

سعة مغفرة الله تعالى

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» ^(١)

ترجمة الراوي:

سبق ترجمته في الحديث الثالث عشر

مسائل وفوائد:

في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرافة والرحمة

في هذا الحديث الأسباب التي تحصل بها المغفرة، وهي ثلاثة:

السبب الأول الدعاء مع الرجاء فإن الدعاء مأمور به، وموعد عليه بالإجابة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. والدعاء عبادة. عَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ^(٢).

والله يغضب إن لم يسأل عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبِ عَلَيْهِ» ^(٣).

وينبغي حضور القلب ورجاء الإجابة.

(١) رواه الترمذي، برقم ٣٥٤٠ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وصححه الالباني
(٢) رواه الترمذي، برقم ٢٩٦٩، وصححه الالباني، في صحيح الترمذي،. الروض النضير ٨٨٨، المشكاة (٢٣٣٠).
(٣) رواه الترمذي، برقم ٣٣٧٣، وحسنه الالباني، في صحيح ابن ماجه (٣٨٢٧).

فِي شَرْحِ الرَّابِعِ مِنَ التَّوْبَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلَبَ غَافِلٌ لَاهٍ»^(١).

وَلَا يَسْتَعِجِلُ الْإِجَابَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا - أَوْ فَلَمْ - يُسْتَجَبْ لِي»^(٢).

وَأَنْ يَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلِيَعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»^(٣).

وَلِلدَّاعِي إِحْدَى ثَلَاثَ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْتَمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثَ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا نَكَّرْتُ. قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(٤).

السبب الثاني الاستغفار.

وهو طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها.

وقد أمر الله به. قال تعالى ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦].

ومن أسماء الله: الغفور، والغفار. قال تعالى ﴿نِعَىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

مهما عظمت ذنوب الإنسان فإن الله يغفرها لمن تاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

والأنبياء وأهل الفضل يطلبون المغفرة من الله. قال تعالى عن نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]. وقال عن الخليل ﷺ

(١) رواه الترمذي، برقم ٣٤٧٩، وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وحسنه الالباني في الصحيحة (٥٩٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلن يستجب لي برقم ٢٧٣٥ ورواه البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، برقم ٦٣٤٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، برقم ٢٦٧٩.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک، برقم ١٨١٦، هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢]. وقال تعالى: عن موسى ﷺ
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦].

ومدح الله المستغفرين.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].
والنبي ﷺ كان يكثر من الاستغفار. عن أبي هريرة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي
لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» (١).

وللاستغفار فوائد:

أولاً: تكفير السيئات ورفع الدرجات

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴾

النساء: ١١٠

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي
فَأَغْفِرَ لَهُ» (٢).

وتقدم قوله تعالى في الحديث القدسي (فاستغفروني أغفر لكم)

ثانياً: سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين. قال تعالى عن نوح أنه قال لقومه قَالَ تَعَالَى:
﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٠ - ١٢

ثالثاً: سبب لحصول القوة في البدن.

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقْوُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ
قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُنُودَهُمْ ﴾ ﴾ هود: ٥٢

رابعاً: سبب لدفع المصائب ورفع البلايا.

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ﴾

الأنفال: ٣٣

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، برقم ٦٣٠٧

(٢) رواه البخاري، كتاب التهجد، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، برقم ١١٤٥

خامساً: سبب لياض القلب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَغْلُوَ قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّأْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ [ص: ٢٣٤] عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤]» (١)

من أقوال السلف:

وكان ابن عمر: يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: إنكم لم تذبوا (٢)

وقال قتادة: «إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما دواؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم

فلاستغفار» (٣)

وللاستغفار صيغ منها:

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»

عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الْأِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِفًا بِهَا، فَهَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِفٌ بِهَا، فَهَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٤)

- (رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وجددي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير)

(١) رواه الامام أحمد برقم، ٧٩٥٢ وحسنه الالباني في التعليق الرغيب (٢ / ٢٦٨ و ٤ / ٧٤)

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ٢ / ٤١٦.

(٣) شعب الإيوان، للبيهقي، برقم ٦٧٤٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ أَفْضَلِ الْأِسْتِغْفَارِ، برقم ٦٣٠٦.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ

عَنِ ابْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي [ص: ٨٥] وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

(رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ»، مِائَةَ مَرَّةٍ^(٢).

السبب الثالث: التوحيد، وهو السبب الأعظم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «الإنسان إذا أذنب ذنباً عظيماً ثم لقي الله لا يشرك به شيئاً غفر الله له، ولكن هذا ليس على عمومه لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، فقوله هنا في الحديث (لأتيتك بقرابها مغفرة) هذا إذا شاء، وأما إذا لم يشأ فإنه يعاقب بذنبه»^(٣).

فضائل التوحيد:

أولاً: سبب لمغفرة الذنوب.

كما في حديث الباب.

ثانياً: سبب للنجاة من الشدائد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

[العنكبوت: ٦٥].

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ»، برقم ٦٣٠٦

(٢) رواه أبو داود، باب في الاستغفار، حديث رقم ١٥١٦، وصححه الالباني في الصحيحة (٥٥٦)، صحيح أبي داود (١٣٥٧).

(٣) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، ص ٤١٠.

ثالثاً: سبب لدخول الجنة.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»^(١).

رابعاً: لأهل التوحيد الأيمن والاهتداء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٨٢)
الأنعام: ٨٢.

لم يلبسوا: لم يخلطوا. إيمانهم: توحيدهم.

بظلم: المراد به الشرك كما فسره النبي ﷺ بذلك. عَنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ [الأنعام: ٨٢] إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»^(١٣) [لقمان: ١٣]^(٢)

وجوب الإيمان بقاء الله، لقوله (لقيني).

وقد قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١١٠) الكهف: ١١٠

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ الانشقاق: ٦

فملاقيه: أي ملاقي ربك، وقيل: ملاقي عملك،

(١) رواه مسلم، كتاب الايمان، بَابُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ، برقم.

(٢) رواه البخاري، كِتَابُ اسْتِثْبَاتِ الْمُزْتَدِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَتَأُولِينَ، برقم ٦٩٣٧.

المحتوى

٥	امقدمة
٧	الحديث الأول: إنما الأعمال بالنيّات
١٢	الحديث الثاني: بيان الإسلام والإيمان والإحسان
٣٤	الحديث الثالث: أركان الإسلام
٣٧	الحديث الرابع: الأعمال بخواتيمها
٤٣	الحديث الخامس: إبطال المنكرات والبدع
٤٧	الحديث السادس: الحلال بيّن والحرام بيّن
٥١	الحديث السابع: الدين النصيحة
٥٦	الحديث الثامن: حرمة المسلم.
٥٨	الحديث التاسع: التكليف بما يستطاع
٦١	الحديث العاشر: الاقتصار على الحلال الطيب
٦٤	الحديث الحادي عشر: التورع عن الشبهات
٦٧	الحديث الثاني عشر: ترك ما لا يعني المسلم
٦٩	الحديث الثالث عشر: كمال الإيمان
٧١	الحديث الرابع عشر: حرمة دم المسلم وأسباب إهداره
٧٥	الحديث الخامس عشر: آداب إسلامية
٧٩	الحديث السادس عشر: النهي عن الغضب
٨٢	الحديث السابع عشر: الأمر بإحسان الذبح والقتل
٨٥	الحديث الثامن عشر: حسن الخلق
٩٣	الحديث التاسع عشر: احفظ الله يحفظك
٩٩	الحديث العشرون: الحياء من الإيمان

في شرح الإيعاب النبوية

- ١٠٣ الحديث الحادي والعشرين: قل آمنت بالله ثم استقم
- ١٠٧ الحديث الثاني والعشرون: الاقتصار على الفرائض يدخل الجنة.
- ١٠٩ الحديث الثالث والعشرون: الإسراع في الخير
- ١١٥ الحديث الرابع والعشرون: تحريم الظلم
- ١٢١ الحديث الخامس والعشرون: ذهب أهل الدثور بالأجور
- ١٢٥ الحديث السادس والعشرون: فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وإعانتهم
- ١٢٩ الحديث السابع والعشرون: البر حسن الخلق
- ١٣١ الحديث الثامن والعشرون: وجوب لزوم السنة
- ١٣٦ الحديث التاسع والعشرون: ما يدخل الجنة
- ١٤٥ الحديث الثلاثون: حقوق الله تعالى
- ١٤٨ الحديث الحادي والثلاثون: الزهد الحقيقي
- ١٥٣ الحديث الثاني والثلاثون: لا ضرر ولا ضرار
- ١٥٦ الحديث الثالث والثلاثون: من أسس القضاء في الإسلام
- ١٥٨ الحديث الرابع والثلاثون: النهي عن المنكر من الإيثار
- ١٦٤ الحديث الخامس والثلاثون: أخوة الإسلام
- ١٧٣ الحديث السادس والثلاثون: قضاء حوائج المسلمين، وفضل طلب العلم
- ١٨٢ الحديث السابع والثلاثون: فضل الله تعالى ورحمته.
- ١٨٦ الحديث الثامن والثلاثون: العبادة لله وسيلة القرب والمحبة
- ١٩١ الحديث التاسع والثلاثون: التجاوز عن المخطئ والناسي والمكروه
- ١٩٣ الحديث الأربعون: الدنيا وسيلة ومزرعة للآخرة
- ١٩٨ الحديث الحادي والأربعون: علامة الإيثار
- ٢٠٠ الحديث الثاني والأربعون: سعة مغفرة الله تعالى

الفوائد الذهبية في شرح الأربعين النبوية

«الفوائد الذهبية».. صفحات تشعل لك قبساً من نور قلّ أن يدخل إلى النفوس بغير مفتاح اليقين. حكمة متدفقة من كلام الصدق، وآيات وتواريخ من سير ونصائح تذكرنا بأن حياة الإنسان أعمق وأجمل حين تنقى النية وتستقيم العبادة. هنا تجدُ صحفاً من الهدى النبوي الذي يعيد إلى الروح عنوانها، ويذكر بأن الإيمان ليس مجرد كلمات تقال بل هو أفعال تعاش، وأن الخلاص من فتنة الدنيا يبدأ بخطوة من صدق وإخلاص. كتابٌ يلتقط من السنة والقرآن فوائد ذهبية تنير الدرب للقارئ البسيط والمثقف على حدٍ سواء. ستنتهي من قراءته ليرتد بعد ما صدق في عقلك قائلاً: كيف أعيش؟ وكيف أصلح ما بيني وبين غايتي؟ كتاب موجه لكل من يريد أن يعيد ترتيب حياته على ضوء قرآني ونبوي، بكلمات بسيطة ورؤية عميقة تجمع بين العلم والروح.



9 78 60305 9947 9



01152806533 - 01012355714

elbasheernashr@gmail.com

elbasheer.marketing@gmail.com

www.drelbasheer.net

دار البشير